أسد أهل السنة، رائد الملة البيضاء، العلامة الداعية

محمد حشمت علي خان اللكنوي

حياته وأعماله ومناظراته

تأليف

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي

ناشر

مركز البحوث الإسلامية

ممبي (الهند)

أسد أهل السنة، رائد الملة البيضاء، العلامة الداعية

محمد حشمت علي خان اللّكنوي

حياته، وأعماله، ومناظراته

تأليف

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي

نـاشـر

مركز البحوث الإسلامية

ممبئي (الهند)

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

العلامة حشمت علي خان اللكنوي

حياته وأعماله ومناظراته

تاليف

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي

ناشر

مركز البحوث الإسلامية

الشارع الخيراني، ساكي ناكه، ممبئي، (الهند).

Islamic Research Centere
Khairani Raod Saki Naka, Mumbai (India)
Email: anwaralbaghdadi@yahoo.com
baghdadi311@gmail.com

الإهداء

إلى الذين تزوّدوا بالعلم والإيمان وذادوا عن الحقِّ والإسلام بالسيف واللسان فانتصر الحقُّ وزهق الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقا.

وبالأخصِّ منهم مجدّد القرن الرابع عشر، قاطع البدع والضلالة، صاحب المؤلفات الكثيرة، السيوطي الثاني في الهند، الإمام الشاه أحمد رضا خان البريلوي (نوَّرَ الله تعالى مرقدَه).

وإلى صاحب الترجمة هذه، أسد أهل السنة، رائد الملة البيضاء، العلامة الداعية، مولانا أبي الفتح حشمت علي خان القادري (رحمه الله تعالى).

وإلى نجله الأكبر، وخلفه الأمثل، مرشد طريقتنا، مولانا الشاه العلامة مشاهد رضا خان الحشمتي (أمطر الله تعالى على روحه الطاهرة رحمةً وغفراناً).

أهدي إليهم كتابي هذا

المؤلف

كلمة لا بد منها

الحمد لله الذي زيَّنَ سماءَ الدنيا بالمصابيح، مصابيح الدّجى والظلام، والصلاة والسلام على سيد الخلق والأنام، وعلى آله البَرَرة الكِرام، وصحبه الغُرَّة العِظام، وجميع علماء الإسلام إلى يومٍ لا حول فيه ولا قوة إلا بالله العظيم المنان، ذي الجاه والجلال والعظمة والزمام.

أمّا بعد،

فهذه ترجمة لأحد أبرز علماء الهند المعاصرين، العلامة الصوفي، مناظر أهل السنة، قامع البدعة، السيف المسلول على الكفرة والمرتدين، حضرة الشيخ مولانا حشمت علي خان القادري اللكنوي، الذي لم تُنصفه الأقلام العربية في الهند، ولم تقدم سيرتَه وأعماله إلى القاريء العربي مع أنَّ له أعمالا ضخمة، وآثاراً علميَّة، ودوراً ملموساً في ميدان الدعوة والإرشاد. وأحمد الله تعالى على هذا التوفيق الجميل؛ إذ وفَّقَني بكتابة هذه العجالة البسيطة، لأقدِّم بها علَماً من أعلام الهند المعاصرة إلى القاريء

العربي، مُطِلًّا على تاريخ الهند الحديث؛ وذلك ليستفيد الطلاب بمآثره العلمية والدعوية الخالدة، ويستنيروا بأعماله الجليلة، ويستلهموا دأبه وأسلوبه في التعامل مع الآخرين آخذين بطرف التصلب في الدين، وليكن الباحثون والدارسون على حقائق تاريخية حاول المغرضون تلفيقَها لأهداف دنيئة.

ومما ينبغي أن نشير إليه أنَّ هذا الكتاب يقوم بطبعه طلبة الصف الثامن/ قسم الأدب لكلية دار العلوم العليمية، الذين يسعدون بتاج التخرّج هذا العام ٢٠١٢م.

ولا شكَّ أن هذه الخطوة المثالية التي رفعَها هؤلاء الطلبة لَهي خطوةٌ ممتازةٌ يسجِّلها التاريخ، ويُحتذى به على مدى الأزمان، كما هي دليل واضح على وَعيِهم الإيماني وشعورهم المرهف إزاء التراث الإسلامي، والمفاخر والمآثر التي تركَها علماء أهل السنة في هذه الديار.

والجدير بالذكر أن دار العلوم العليمية مؤسسة تعليمية في شمال الهند، وهي قلعة إسلامية في ربوعها، تهتمُّ بتثقيف البنات، كما تهتم بتدريس البنين، ولها سمعة طيبة في أرجاء الهند المعمورة،

ولها خدمات مشكورة في مجال التعليم وتثقيف أبناء المسلمين الهنود.

إن هذه المؤسسة التعليمية "دار العلوم العليمية" لقد أسّسها رجال مخيرون من أهالي القرية السعيدة "جمدا شاهي"، وعلى رأسهم المخير شمس الحق العليمي، سنة ١٩٥٣م، بإيماءٍ من شيخهم في الطريقة، خليفة الإمام أحمد رضا خان القادري، الداعية الكبير العلامة عبد العليم الصديقي الميرتي، الذي له خدمات دعوية في أرجاء العالم كلها. وقد نسبت هذه المؤسسة إلى اسمه فسميت بالعليمية.

وقد تخطّت هذه المؤسسة خطوات مشجعة في ميادين العلم والمعرفة بجهود حثيثة مشكورة من قِبل أهالي هذه القرية، وبالأخص بدعم مالي ضخم من الحاج غلام مصطفى الرضوي، وغيرهم من أهالي الخير والبركة، جزاهم الله تعالى عنّا وعن المسلمين خير الجزاء.

ومنذ أسسها الأولى ما زالت تخطو هذه المؤسسة نحو الأمام حتى نراها اليوم مزدهرةً شامخةً، تضمُّ أكثر من ١٥٠٠

طالبا، وتوفِّر المؤسسّة لسبع مائة منهم مأكلاً ومشرباً ومبيتا، كما فتحت فيها أقسام علمية عديدة، ولها مكتبة ضخمة، ونشطاء في مجال الدعوة والإرشاد.

وأخيراً ينبغي لنا أن نتوجَّهَ بالشُّكر الجليل والتقدير العميق إلى جميع الطلبة الذين ساهموا بأموالهم في طبع هذا الكتاب، وآثروا نشرَه وإن كان بهم خصاصة، كما لا ينبغي أن أنسى تلميذنا النجيب محمد طيِّب العليمي، الذي له دورٌ فعَّال في إخراجه، فبارك الله تعالى فيه وفيهم، وأثقل ميزان حسناتهم يوم القيامة. (آمين).

وصلى الله تعالى على خير خلقه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أنوار أحمد العليمي البغدادي

خادم العلم بدار العلوم العليمية،

جمدا شاهي، مديرية بستي، (الهند)

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، اللهم لك الحمد حمدا كثيراً، والصلاة والسلام على النبي المبعوث بشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه صلاة وتسليما.

وبعد،

منذ أعوام كنت أنوي، ولكنه لم تسنح لي فرصةٌ لكثرة المشاغل إلّا في هذه اللّحظات التي طلب فيها فضيلةُ الشيخ العلامة عبد المصطفى الرودولوي – حفظه الله تعالى – أن أكتبَ شيئا بالعربية عن شيخ شيخنا ومرشد مرشدنا، أسد أهل السنة، تلميذ الإمام أحمد رضا البريلوي – نوَّرَ الله مرقدَه – العلامة أبي الفتح محمد حشمت علي – رحمه الله تعالى رحمة واسعة – لأسدَّ به ثلمةً، وأقدِّم إلى القاريء العربي شخصيةً قضى حياته في الدفاع عن السنة المطهرة، وأنزل صاعقاً على الذين ابتغوا النيل من عظمة الله – جل وعلى – ورسوله – عليه التحية والثناء – وبَغوا على طريق السلف الصالح، وثاروا على المنهج النقي القويم، فتصدّى لهم

جبلا شامخا، وفنّد مزاعمَهم، وعارضهم بالبحث والمناقشة، وبالجدال والمناظرة بطلا جَريئا، لا يخاف ولا يرتعد حتى صحَّ أن يلقب بـ "أسد أهل السنة"، واشتهر هذا اللّقب على الألسنة حتى غلب على اسمه، ولِمَ لا يكون فقد ترادف اسمه والظفر، حيث لم يناظرْ خصما حتى غلب عليه، وأفحم لسانه، وأرغمه على قبول الحقِّ، فإن لم يقبل الخصم عنوةً واستكباراً، ولكن الشهود والأعيان الذي حضروا مشاهدَ المناظرة لم يجدوا محيصا سِوى قبول الحقِّ، كما ستجد في هذه العجالة من نماذج على ذلك. إن شاء الله العظيم.

هكذا حفظ الله تعالى به هذا الدينَ في هذه الديار التي كثرتْ فيها اللغطات والأباطيل، وطاغتْ فيها الطوائف والفِرق، فطائفة منها تظهر في اللباس الإسلامي الخادع، وتقول إنه من الممكن أن يكذب الله تعالى، الذي تبارك عن النقائص وتنزّه عن العيوب. وتقول إن الرسول – عليه التحية والثناء – مثلنا بشر ليس بينه وبيننا فرق إلا كالفرق بين الأخ الكبير والصغير، وتقول إن الرسول – عليه الصلاة والسلام - لا يملك لنفسه شيئا،

وليس علمه – معاذ الله – إلا كالبهائم من الحمار ...، وما إلى ذلك من خرافات وأباطيل تمسُّ عظمة الله - تعالى وجل شانه – وشرف النبي الأكرم ﷺ يتندّى لها جبين المؤمن الذي أُمِرَ بمحبة الرسول ﷺ التي لا تاتي إلا بالتعظيم.

كانت هذه الحالات الحرجة، إذ منَّ اللهُ تعالى علينا المسلمين الهنود بأن خلق الله - تبارك وتعالى - الإمام أحمد رضا خان البريلوي – نوَّرَ الله تعالى مرقدَه - الذي تابعَ هذه الحركات الهدمية بالنقد والتحليل، ودعا الناس إلى الإقرار بعظمة الله تعالى بأنَّه من المستحيل أن يكذب الله تعالى؛ فإنه منزَّهٌ عن جميع العيوب والنقائص، وليس الكذب إلا عيبا، لا يليق بعبدٍ صالحٍ، فضلاً عن ذات الله سبحانه تعالى الذي هو اسم جامع للصفات الكمالية، وكما دعا الإمام إلى محبة رسول الله ﷺ التي هي شرط للإيمان، كما رويت في ذلك أحاديث صحيحة.

قام الإمام بهذه المهمّة الدفاعية عن عقيدة السلف حتى آخر لحظات حياته المباركة، وترك جيلا مباركا يدافع عن حياض الدين، فقد تولّى تلامذته وخلفاؤه هذه المهمة، فنهضوا ضد

الحركات الهدمية، وردّوا كيدَها، ودافعوا عن بياض الإسلام وعقيدته الصافية النقيَّة بكل ما كان في وسعهم من جهد، وإخلاص – فجزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء.

ومن تلامذة الإمام الذين قاموا بخدمات مثالية في تصحيح المفاهيم وتقويم الأفكار، مناظر الهند الأعظم العلامة محمد حشمت علي اللّكنوي الذي قدَّمَ لهذا الدين الحنيف خدماتٍ جليلة الشأن وتضحياتٍ ذات القدر والإمتنان بالتصدي لغير المسلمين، وبمناظرة أصحاب الملل والهوى من الفِرق الباطلة. (برَّد الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه).

اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينتظم مع هذه المقدمة في ثلاثة مباحث وهي كما يلي:

المبحث الأول: حياته.

المبحث الثاني: صفاته ومؤهلاته.

المبحث الثالث: أعماله وخدماته.

المبحث الرابع: مناظراته.

الخاتمة.

ففي المبحث الأول سلّطنا الضوءَ على حياة الشيخ، وفي المبحث الثاني ذكرنا نبذةً من أعماله وخدماته التي قام بها، وأمّا المبحث الثالث فقد خصّصناه لجانبٍ مهمٍّ من جوانب حياته، ألا هي مناظراته مع أهل البدع والزيغ والعقائد الفاسدة، ولخّصنا نتيجة البحث في خاتمةٍ، وأردفناه بقائمة المراجع.

نسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وهو الموفّق والمستعان.

أنوار أحمد خان البغدادي

رئيس هيئة التدريس

لدار العلوم الغوث الأعظم

فوربندر، غجرات (الهند)

١٤ / صفر المظفر ١٤٣٠هـ/ ١٠ شباط ٢٠٠٩م

المبحث الأول

حياة العلامة حشمت علي اللكنوي

اسمه ونسبه:

اسمه "محمد حشمت علي"[1]، و"خان" اسم أسرته، وهو ابن أبي الحفاظ محمد نواب علي خان بن محمد حيات خان بن محمد سعادت خان بن محمد خان – رحمهم الله تعالى جميعا –، وهذا الأخير كان قد نزل الهند من "در خيبر" إحدى مدن الفارس، وتولى إحدى مناصب الجيش، ولأعماله المثالية قد ارتفع منصبه، فمنح أموالا كثيرة وأراض ذات المساحة الكبيرة جائزةً في منطقة "أميتي"[2]، وهي موطن العلامة الفقيه الأصولي الشيخ "ملا

---

(١) هو اسمٌ مركّب من ثلاثة أجزاء على عادة أكثر الهنود أنهم يسمون بأسماء مركبة، كما أن أكثرها تشتمل على خير الأسماء "محمد" تبركا به ﷺ. وهكذا أسماء أجداده أيضا مركبة.

(٢) وهي منطقة تقع على بعد أميال من عاصمة الولاية الشمالية "لكناؤ" شرقا.

جيون" - رحمه الله تعالى - صاحب "نور الأنوار" في أصول الفقه، و"التفسير الأحمدي"[1].

مولده ونشأته:

جاء في ترجمته التي كتبها أخوه الشيخ محبوب علي – رحمه الله تعالى – أنَّ العلامة حشمت علي خان ولد في "لكناؤ" عند ضريح الشيخ الصوفي عبد الرحمن اللّكنوي سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م في أسرة "آفريدى"[2]، بينما ذكر الدكتور غلام يحى أنجم المصباحي أنَّ ولادته كانت في "أميتهي" التي تبعد من لكناؤ على أميال، حيث كانت تقطن أسرته[3]. ولعلَّ الأقرب إلى الواقع هو ما

---

(١) ينظر: "سوانح شير بيشه أهل سنت"، (دراسة عن حياة الشيخ وأعماله بالأردية)، ألّفه الشيخ محبوب علي، مطبوعة ممبئي سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص: ٣٤ – ٣٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٣٤.

(٣) ينظر: "مولانا حشمت علي اللكنوي، ايك تحقيقي مطالعه"، (دراسة عن حياة الشيخ وأعماله بالأردية)، ألّفه الدكتور غلام يحى أنجم، مطبوعة دلهي، سنة ١٩٩٢م، ص: ٩٢ – ٩٣.

كتبه أخوه؛ إذ إنه يُعَدّ من أقرب المصادر، علاوة على ذلك ينسب الشيخ إلى مدينة "لكناؤ"، فيقال: "اللّكنوي" فلو كانت ولادته في "أميتهي" لنسب إليها، كما نسب إليها أجلّة من العلماء، ثمَّ على رأي الدكتور لم يتعلق شيخنا بلكناؤ سِوى أيام في الدراسة، ثم انتقل إلى بريلي، فهل تكفي هذه الأيام القلائل لأن يُنسب إليها، دون غيرها؟!

على كلٍّ، فقد وُلِدَ الشيخ في "لكناؤ"، ونشأ فيها، وهي مدينة من أجمل المدن الهندية ثقافةً وحضارةً، وأنقى موارد اللهجات الأردية عذوبةً، ولكل من هذا وذاك أثر واضح في شخصيته الوضاءة؛ إذ أصبح خطيباً مصقاعا، فصيح اللسان، عذب البيان، يستقطب القلوب.

دراسته وتعلمه:

ولِما أن أسرته "آفريدي" التي فتح عينيه في حضنها، كانت معروفةً بالعلم والفضل، والصلاح والتقوى، وبالخير والنعم، ولهذا نراه يعتنى به وبدراسته عناية خاصةً، فقد أجري أداء قراته لـ"بسم الله الرحمن الرحيم" بحفلةٍ واهتمام كبيرٍ، أقرأه الحاج

الصوفي كريم بخش. ثم تابع قراءة العربية حفظاً واتقاناً على المقريء غلام طه التونكي، وبعد اتقانه العربية قراءةً التحقَ بالمدرسة العالية الفرقانية بلكناؤ، وكانت قد ظهرت ملامح العبقرية في جبينه منذ صغره فحفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز عشر سنوات. وحينما وصل إلى الثالثة عشر من عمره نال شهادةَ النجاح في القراءات السبعة. وهذا النجاح الباهر الذي كسبَه شيخنا جعله طالبا محبّباً في عيون الأساتذة والشيوخ فأجري له منحة شهرية ٢٥ روبيةً، وكان مدير المدرسة مولانا عين القضاة يقول فيه: "إن هذا الطالب شمس مدرستنا"[١].

هكذا ظلَّ الشيخ يدرس في المدرسة العالية الفرقانية بلكناؤ، فتعلَّم الخط العربي من الخطاط المشهور المنشي شمس الدين، ودرس بعضَ الكتب العربية من النحو والصرف على

(١) ينظر: مولانا حشمت علي اللكنوي، للدكتور غلام يحى أنجم، ص: ٣٧.

الشيخ نصير الدين، من أتباع المولوي أشرف علي التهانوي[1]، وواصلَ الشيخ دراسته في المدرسة بالنجاح الباهر والعناية الخاصّة من قبل المعلِّمين، فقد كانوا ينهلون عليه بالعطف والحنان لفرط ذكائه وسرعة استيعابه إلّا أنَّ هذه المدرسة كانت لأتباع الفكر الوهابي الذي استحدثه محمد بن عبد الوهاب النجدي، وكان الشيخ طفلاً منخرطاً معهم لا يميز بين الضب والنون؛ إذ حدث له أن حصل على كتاب "تمهيد الإيمان" للإمام أحمد رضا خان

(١) هو أشرف علي بن عبد الحق التهانوي، من علماء الديوبنديين، ولد بـ "تهانه" قرية من أعمال مظفر نكر، أترا براديش، في ٥/ ربيع الآخر سنة ١٢٨٠هـ، تعلّم في المدرسة العالية بديوبند، من مصنفاته: "أنوار الجود"، و"التجلي العظيم"، و"تحذير الإخوان"، وغيرها، توفي في ١٦ رجب سنة ١٣٦٢هـ. ودفن بـ "تهانه بهون". وله معتقدات مناهضة لأهل السنة والجماعة، شبَّه علم الرسول ﷺ بالبهائم، ووقع في المخالفات والأضداد، كما سيأتي عنه في تضاريس هذا البحث. (ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوي، ٨/ ٥٦-٥٨).

البريلوي - نوَّرَ الله تعالى مرقدَه - عند والدته، فطالع هذا الكتاب، وكان ذكيا فانفتح الحقُّ على قريحته، واسترشد إلى الصواب، ومنذ ذلك اليوم بدأ يسائلهم، ويدافع عن عقيدة أهل السنة، ويتصدّى لهم، وصدف له أن جاء تلميذ الإمام أحمد رضا العلامة أمجد علي، وخلفه الأكبر العلامة حامد رضا، والعلامة السيد نعيم الدين المرادآباي- رحمهم الله تعالى - في حفلةٍ دينيةٍ في لكناؤ، وذلك في عام ١٣٣٥ هـ، فلقي بهم، وأظهر رغبتَه في أخذ الطريقة والبيعة على يدِ الإمام أحمد رضا، فأشار عليه خلف الإمام الأكبر العلامة حامد رضا أن يبايع الآن على يد الشيخ العلامة أمجد علي نيابةً عنه، وإذا سنحت له فرصةٌ في المستقبل فسيبايع الإمام، فقبِلَ ذلك، وبايع فضيلةَ الشيخ العلامة المذكور، ولم تمض أيامٌ حتى حضر في جناب الإمام البريلوي وجدّدَ بيعتَه، ودخل السلسلة القادرية[1].

---

(١) ينظر: مولانا حشمت علي اللكنوي، للدكتور غلام يحى أنجم، ص: ٣٨- ٣٩.

وكان هذا الخبر صاعقةً على أهالي المدرسة التي كان يدرس فيها، فأضمروا له العداوة والحقد، وكثرت عليه اللغطات، وازدادت المشاكل، فيصمد لها، ويخيِّب ظنَّهم في محاولاتهم الحثيثة لتخريب فكره الصافي (١) الذي استلهمه من الإمام أحمد رضا – نوّر الله تعالى مرقده – ذلك الفكر الإسلامي المستفاد من منهج السلف الصالح، الفكر الذي تقوم دعائمه على محبة الحبيب المصطفى – عليه التحية والثناء – وعلى احترام الصالحين من العلماء الربانين والأولياء الكاملين.

فقد ظل الشيخ في هذا الجوِّ المغبَّر بفساد العقيدة، الذي لم يكن يلائمه فكتب كتاباً إلى الإمام فاستدعاه إلى مدينة "بريلي"، فلبّى دعوتَه، وقصد بريلي عام ١٣٣٦هـ، وهناك واصل دراستَه، في دار العلوم "منظر إسلام"، يرتاد مجلس شيخ الإسلام

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ٣٩. وينظر: "مختصر سوانح صدر الشريعة"، تاليف: مولانا آل مصطفى المصباحي، نشره: طيبة العلماء، كهوسي، مئو، (الهند) ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص: ١٢١ – ١٢٢.

والمسلمين الإمام أحمد رضا البريلوي، فيستفيد منه، ويشفي غليله، كما سنحت له فرصة الاستفادة من شيوخ أجلة من تلامذة الإمام، من أمثال: الفقيه الأعظم العلامة أمجد علي المعروف بـ"صدر الشريعة"، والعلامة المفسِّر نعيم الدين المردآبادي المعروف بـ"صدر الأفاضل"، وغيرهم[1].

هكذا بقي الشيخ في "بريلي" قويَّ الصلة بالإمام أحمد رضا، يتربى تحت عينيه، فتتقوى عضلاته وهو صغير، فقد تصدّى للباطل وعمره ١٩ سنة، وذلك في سنة ١٣٣٨هـ حينما دعا أحدٌ من الوهابية للمناظرة فأرسل الإمام هذا الشبل ليناظره ويردّ كيده، وشاء القدر أن يظهر الحق على لسانه فأفحم خصمه. وكانت هذه أول خطوة خطاها في سبيل المناظرة بالنجاح

(١) ينظر: مولانا حشمت علي اللكنوي، للدكتور غلام يحى أنجم، ص: ٤٧.

والتوفيق. ولما وُصل إلى شيخه الإمام مكلّلاً بتاج الفوز قام له الإمام وعانقه ولقّبَه بـ"أبي الفتح"[1].

تخرجه وتدريسه:

تخرّج الشيخ في دار العلوم "منظر إسلام"، ببلدة "بريلي" في عام ١٣٤٠هـ، وبعد التخرج تقلّد زمام التدريس في المدرسة نفسها، ثم انتقل مدرِّساً إلى دار العلوم المسكينية، في مدينة "دهوراجي" من ولاية غوجرات، ثمَّ إلى مدرسة أهل السنة في مدينة "بادره" من محافظة "بروده" من ولاية غوجرات[2].

ظلَّ الشيخ مدرِّساً متمرِّساً ناجحاً إلى مدة يشفي غليل الظامئين، إلّا أنَّ فن المناظرة الذي أودعه الله تعالى في سريرته لم يؤيده البقاء في ساحة التدريس، وإنما سحبه في ميدان المناظرة،

---

(١) ينظر: مولانا حشمت علي اللكنوي، للدكتور غلام يحى أنجم، ص: ٤١ و٤٣.

(٢) ينظر: تاريخ المشايخ القادرية للأستاذ الدكتور غلام يحي أنجم المصباحي، نشره: بزم قاسمي بركاتي، بدايون الشريفة، سنة الطباعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص: ٤٢٧.

ففيه صالَ وجالَ، وقضى طول حياته في المدافعة عن حياض أهل السنة والجماعة، فنهض بهذا الفن نهضةَ الرجال، وبرع فيه براعةً لم يُر له نظير بين معاصريه، وأثبت له جدارةً يفتخر بها الزمان، حتى غدت فيه هذه الصفةُ ظاهرةً تميِّزُه عن غيره من العلماء، ولم يكن ذلك كلُّه إلا لصدقِ مقاله وجرأة قلبه.

زواجه وأولاده :

تزوّج الشيخ مع السيدة صابرة بنت الحافظ محمد صادق، ولكنها توفيت إثر ولادة بنتٍ ووفاتها بستة أيام، ثمَّ تزوج زواجا ثانيا في عام ١٣٤٥هـ في مدينة "بيلي بهيت"(١). وقد حضر العرس

---

(١) هي مدينة قديمة تقع في الشمال من ولاية أترا برديش، كان قد بناها حافظ الملك رحمت خان، في سنة ١٧٦٢م، وقد سميت بهذا الإسم لما بنى الملك روهيله المذكور جدارا بتراب بطين أصفر، وقد كانت تسمى من قبل بـ "حافظ آباد". وقد عمَّرَ في هذه المدينة حافظ الملك رحمت خان وخلفاؤه مبان جميلة وشامخة على طراز الأفغان، وبنى في وسط المدينة مسجدا جامعا في سنة ١١٨١هـ، وسمي هذا المسجد "بيت المتقين" إسما تاريخيا، ويعد بناء هذا المسجد رمزا

رائعا ونموذجا نادرا للبناء الفني. تأتى أهمية هذه المدينة من كونها حصنا دفاعيا ضد المستعمرين الإنكليز حيث يذكر بأنه لما نجح الإنكليز في السيطرة على الهند سنة ١٨٥٧م، جعلوا "كارميكل" مديرا لهذه البلدة، فوقف مسلموها ضدهم بكل شجاعة وحماس مدافعين عن عزها وشرفها وكرامتها، وبالتالى ردوا كيدهم في نحورهم، وصانوا مدينتهم من براثن الإنكليز وأقاموا عليها "بهادر خان"، وكذلك ثبتوا ثبات الرجال الحزام ضد الهندوس حينما ساءت نيتهم فأغاروا عليها بقيادة "ذوقى رام" فنصرهم الله، وقتل قائدهم، وإنهزم الهندوس شرَّ هزيمة، وتكلّلت رؤوس مسلمي هذه المدينة بتيجان النصر والنجاح، فالحمد لله على ذلك.

هذا! ومن جانب أخر تشهد هذه المدينة بالخير والصلاح، لوجود العلماء الربانيين والصوفية المتقين فيها، من أمثال الشاه لطف الله، والشاه عبد السبحان، والشاه مستان، وغيرهم. ولعل مجموعة هذه الصفات قد جذبت قلب هذا الشيخ الجليل إلى هذه المدينة المثالية حيث اختارها مسكنا له، ومنها نشط في نشر الأفكار الإسلامية ومبادئ الشريعة الغراء وقمع الضلال والفتن، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

أجلّةٌ من العلماء، منهم: أستاذه العلامة أمجد علي، والعلامة حامد رضا، ومفتي الهند الأعظم مصطفى رضا، والسيد أولاد رسول محمد ميان البركاتي، والشيخ ضياء الدين البركاتي، وغيرهم من العلماء والفضلاء[1].

وبعد زواجه الثاني عام ١٣٤٥هـ اشترى بإجازةٍ من لدن والده مساحةً من الأرض في مدينة "بيلي بهيت"[2] التي تقع جانب الغرب الشمالي من مدينة "لكناؤ" على بعد ٧٠ كلو مترا، وبنى فيها بيتا متواضعا، وانتقل إلى هذه المدينة تاركاً مدينةَ "لكناؤ"، حيث كان قد ولد وتلقّى دروسَه الابتدائية، واستقرَّ فيها إلى آخر اللحظات من عمره الغالي الذي وقفه لخدمة الدين الحنيف، وبارك الله تعالى في ذرياته وهو في هذه المدينة.

---

(١) ينظر: مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ١٠٦ – ١٠٧.

(٢) المصدر نفسُه، ص: ١٠٧.

ولا شكَّ أن مدينة "بيلي بهيت" قد تشرّفت بقدومه، وحظيت بمكانةٍ مرموقة في سجل التاريخ الهندي الجديد، فباسمه أصبح لها ثقلٌ ملموسٌ.

وفي هذه المدينة رزق الشيخ من الزوجة الثانية – رحمها الله تعالى - ثلاث بنات وسبعة أولاد ذكور، كان كلُّ من حظي منهم بعمرٍ على منوال أبيه من العلم، والتقوى، والمناظرة، وهؤلاء هم:

(١) أكبر أولاده وخلفه الأبجل مولانا ومرشدنا وشيخنا العلامة المفتي **محمد مشاهد رضا خان** – رحمه الله تعالى - ولد في ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، وكان الشيخ أبو الفتح حين ولادته في رحلةٍ دعويةٍ في "رنكون"، وحينما بلغه خبر ولادته، فسماه بـ "مختار علي" إلّا أنّ أخاه الصغير الشيخ محبوب علي – رحمه الله تعالى - كان قد سماه بـ"محمد"، فانضمَّ هذ بذاك، وصار اسم مركَّبٌ من ثلاث كلمات على طريقة الهنود "محمد مختار علي"، وقد أطلق عليه هذا الاسم أعواما، ثمَّ غلب عليه اسم آخر وهو "محمد مشاهد

رضا"[1]، ولعله كان من عمق الحبِّ الذي أشربت نفوس هذه الأسرة للشيخ الإمام أحمد رضا خان القادري البريلوي - نوَّر الله تعالى مرقده.

نشأ شيخنا مشاهد رضا خان في حلية من العلم والتقوى في بيته، ثمَّ انتقل إلى الجامعة الأشرفية بمباركفور، حيث أكملَ دراسته بامتياز ونبوغ في العلوم الإسلامية، وبالأخصِّ منها في العلوم اللغوية من النحو الصرف، والبيان والمعاني، والمعاجم فقد كان يحفظ الشيخ نصوصا من الصراح وتاج العروس من ظهر قلبه، ويستشهد بها ارتجالا عند البحث والمناقشة.

إنَّ شيخنا رحمه الله تعالى - كان مثالا رائعا للتقوى، فقد كان يواظب على المستحبات والفضائل فضلا عن الفرائض والوجوب. وكان صريحَ القول يحبُّ المصارحة في إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولهذا لم يجامل أحداً من الفِرق الباطلة، ولم يداهن

(١) مولانا حشمت علي، ص: ١٢٦.

أحدا لدنيا يريدها، وإنما كلُّ ما كان يعنيه فهو الحب لله والبغض في الله.

وأمّا نبوغه في فن المناظرة فقد ورثها من أبيه، فكان مثله قويَّ الحجة، وناصع البراهين، خطيباً قادرا، يخطب في ضوء القرآن والسنة.

كان قويّ العزيمة، شديد النكير على الكفار، ورحيم القلب على أبناء الإسلام، واعيا بمصائب الأمة، مجاهداً بطلاً في الدفاع عنها، قضى كلَّ حياته في خدمة الدين من الدعوة والإرشاد والتوجيه لم تخر عزيمته، ولم تكل نشاطاته، حياة حافلة بالخير والصلاح والإيمان، توفى في ٢١من تشرين الثانى سنة ١٩٩٩م. (برَّد الله ثراه وجعل الجنة مثواه).

وبعد وفاة شيخنا تولى منصبَه خلفه الأكبر مولانا زرتاب رضا خان الحشمتي، كما أسندت إليه إدارة الجامعة الحشمتية أيضا، فنهض بها حسب المستطاع (يقوّي الله تعالى عضلاته، يوفقه للخير والسداد).

(٢) **الشيخ مشهود رضا:** مثل أخيه الأكبر تلقى العلوم الابتدائية في البيت، ثمَّ ذهب إلى الجامعة الأشرفية بمباركفور، وبعد التخرج تولى أمر الإرشاد، وله أتباع، كما يرأس بعض المدارس الإسلامية. ووقد رزق طبيعة الصوفية فهو كثيرا ما يشغل في ذكر الله. (أطال الله عمره).

(٣) **الشيخ عسكري رضا:** كان أحبّ أولاد الشيخ إليه، ولد سنة ١٣٦١هـ، ولكنه توفي شابا في ٣٠ من عمره. (أفسح الله تعالى له قبره).

(٤) **إسرائيل رضا:** توفي صغيرا في مهد أمه (جعله الله تعالى ذخرا لوالديه).

(٥) **الشيخ محمد إدريس رضا:** ولد سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، تلقى العلوم الابتدائية على أبيه، ثم التحق بالجامعة الأشرفية بمباركفور في عام ١٩٧١م، ولكنه لم يستطع أن يكمل دراسته في هذا الصرح العلمي الشاهق لمرض أخيه عسكري رضا فانتقل إلى "بريلي" في دار العلوم منظر إسلام، وهنا تخرَّج في العلوم الإسلامية.

يشتغل بمهنة الخطابة وهي موروثة فيه من أبيه، فقد دويت سماء الهند بوعظه وإرشاده، ويلمح الناس في صوته صوت أبيه (أدام الله تعالى هذا الصوت مهذبا جميلا إلى أمد بعيد).

(٦) **الشيخ معصوم رضا**: ولد سنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م، وتخرج في دار العلوم منظر إسلام، بريلي، وبعد تخرجه إلى هذه اللحظة مازال يتقلد زمام التدريس في إحدى المدارس الإسلامية الهندية (نفع الله تعالى به المسلمين).

(٧) **الشيخ ناصر رضا**: هو الولد الأصغر من أولاد الشيخ، تخرَّج في دار العلوم منظر إسلام، بريلي، ولا زال مدرِّساً إلى هذه اللحظة في إحدى المدارس الإسلامية. (بارك الله تعالى في عمله وجهوده)[1].

حجه وزيارته:

لقد تشرَّف الشيخ بزيارة الحرمين الشريفين مرتين، فقد تشرف بزيارة الحرمين الشريفين للمرة الأولى في عام ١٣٧٠هـ

(١) ينظر: مولانا حشمت علي، ص: ١٢٦ – ١٣٥.

وكان معه جماعة من العلماء والفضلاء، وكانت زيارته هذه مهمّةً من حيث إنّه كان زيارة عاشق عبر البحار تمنى سنوات أن يشاهد بأمٍّ عينيه ويقبل تلك العتبات المقدسة، أحلام سنوات كانت تعبر في هذه الرحلة المباركة كالعاشق الصادق، وصدق من قال إن البعد قد يخلق التجافي، وقد يزداد في اللهفة والشوق والحنان، فالمؤمن الصادق يعيش في هذه الديار النائية عبر البحار، يشتاق، والبعد يزداد لهفة وحرقا، ولهذا لم يتمالك هذا العاشق الصادق نفسه فبدأ يقبّل آثار الأنبياء عند مقام إبراهيم، فما أن رآه شرطيٌّ سعوديٌّ إلّا منعه من ذلك، وجرى بينه وبين الشيخ حوار ساخن ينم عن حبه العميق للأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والتسليم – ومدى تمكنه من العربية، وقدرته على إفحام الخصم، وإليك هذا الحوار الذي كتبه في ٣ من محرم الحرام سنة ١٣٧١هـ / ٤ من تشرين الثاني سنة ١٩٥١م، من مكة المكرمة إلى أخيه الصغير مولانا محبوب علي في ممبئي، ونص الحوار كالآتي:

قال الشرطي: تقبّل الحديد والحجر إن هذا لشرك عظيم؟!

قلت: نحن لا نقبِّل الحديد ولا الحجر، وإنما نقبل ما له النسبة إلى حضرة النبي إبراهيم خليل – عليه الصلاة والسلام –.

قال الشرطي: أو هذا المقام هو معبود؟

قلت: أو هذه الكعبة هي معبودك؟

قال الشرطي: معبودي هو الله رب الكعبة.

قلتُ: معبودنا هو الله رب المقام، ورب الكعبة، ورب إبراهيم.

قال الشرطي: سلِّم أنت على هذا المقام؟

قلت: فسلم أنت على هذه الكعبة.

قال الشرطي: تقبيل غير الكعبة شرك.

قلتُ: فالتقبيل عندكم عبادة خاصة للمعبود، ولا يجوز أن تكون لغير المعبود فثبت أن الكعبة المعظمة هي معبودكم.

قال الشرطي: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قلت: اسمع كلامي! هل يجوز تقبيل غلاف الكعبة الشريفة؟

قال: نعم.

قلتُ: فانظر إلى الغلاف! أي شيء هو؟ إنما هو القطن والإبريسم، نُدفا، ثم فتلا، ثم نُسجا، ثم خِيطا، فصار غلافاً، ثم ألقي على الكعبة المكرمة، فلمجاورة الكعبة المعظّمة حصلت له العظمة والكرامة، وبعد هذا جاز تقبيلُ هذا الغلاف أيضا. فالتعظيم للنسبة التي حصلت له إلى الكعبة المقدسة. والكعبة إنما هي بيت بناها سيدنا الخليل - عليه الصلاة والسلام - للطائفين، والعاكفين، والقائمين، والراكعين، والساجدين، وهذا مقام قام عليه سيدنا الخليل - عليه الصلاة والسلام - لبناء الكعبة المشرفة، فحصلت لكليهما النسبة إلى سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ونحن نعلم بالضرورة أن الحجر الأسود الشريف إنما هو ياقوت من يواقيت الجنة لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله تعالى، ونحن إنما نقبّله لأنا علمنا يقينا أن سيدنا رسول الله ﷺ قبّله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى - البقرة / ١٢٥﴾ فثبت بهذه الآية الكريمة أن لهذا المقام أيضا مزيةً وشرفا وكرامةً عند الله تعالى، فتعظيمه وتقبيله أيضا عبادة لله تعالى، كما أن تقبيل الحجر الأسود واستلامه عبادة لله تبارك وتعالى.

فبهت الشرطي ولم يستطع الجواب، فدفعني دفعة قوية كدت أسقط لولا أصحابي من الحجاج أخذوني على أيديهم، وكان الناس قد اجتمعوا حولنا عند هذا الحوار من اليمنيين والمصريين، ولما سمعوا كلامي هذا استحسنوني[1].

وهكذا أتمّ هذا العاشق زيارة بين معارضة ومخالفة، لقصور نظر أصحاب النجد للدين وضيق صدرهم تجاه الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والتسليم.

والزيارة الثانية للحرمين الشريفين كانت في عام ١٣٧٧هـ وهذه الزيارة أيضا كانت تذكاريةً، حيث لم يتمالك نفسه، فقبَّل، وسلَّم، وأظهر حبَّه، في لهفةٍ وشوقٍ وحنانٍ كما يؤديها عاشق صادق، والنتيجة الحتمية التي كانت تنتظره هي المعارضة الشديدة من قبل الشرطة السعودية، فناقشهم مناقشةً علميةً جادةً لم يلبث رئيس هيئة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، إلّا أن قال له معتذرا بعد مناقشةٍ طالت ساعتين ونصف: "سامحونا فقد

---

(١) ينظر: شير بيشه سنت، ص: ١٧٩ – ١٨٢.

كلفناكم"[1]؛ وذلك لأنك سترى في الصفحات التالية أن الشيخ لم يكن رجلا عاديا حتى يُغلَب، وإنما هو عالم كبير، له نظرة عميقة بالأصول والفروع، ولهذا لم يتمكّنوا من الثبات في وجهه.

وبعد الزيارة الثانية للحرمين الطيبين بثلاث سنوات ارتحل من الدنيا متمنيا الزيارة والموت عند عتبة الحبيب المصطفى ﷺ، فقد كان في آخر أيامه من حياته يتمنى، كما تمنى سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – قائلا: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك)[2].

فقد ارتحل بهذه الأمنية المباركة التي تخبر عن ولهه الشديد وحبه العميق للنبي ﷺ فقد كان عاشقا صادقا، فكان يتململ تململ السليم في الشوق والحنين، ويقول: يارسول الله! خذني إلى

---

(١) مولانا حشمت علي، ص: ١١١.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، مطبوعة مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، كتاب المناسك باب: فضائل المدينة، ص: ٢٥٣ – ٢٥٤.

بلدك، ولا ياتيني الموت إلا على بابك، وهذه أمنية أخيرة، لا شيء بعد.

مرضه الذي مات فيه:

حينما عجز الأعداء من أصحاب الزيغ والأهواء من المواجهة له، ولم يجدوا عليه سبيلا، عمدوا إلى الإضرار به سرّاً، فدسّوا له سُمّاً في بعض ماكولاته، ممّا أدّى إلى وفاته، وكان ذلك عام ١٣٨٠هـ، وكان السُّم بطيء التاثير، فلم يظهر أثره إلا فيما بعد.

هذا ما أكّده جميع الذين ترجموه، إلّا أن إحسان إلهي ظهير يكتب في مجموعة أكاذيبه "البريلوية"(١) أن الشيخ مولانا حشمت

(١) سميناه "مجموعة الأكاذيب" لِما فيه من تهمٍ باطلة، وأقاويل مختلقة، وأشياء خادعة بلا رؤوس وأرجل، لا أصل لها في عالم الواقع، وشتان ما بين الواقع والكذب المخدوع. وقد بدأنا نجمع هذه الأكاذيب وستراه قريبا - إن شاء الله العظيم - في صورة كتاب يكشف القناع عن كثير من اللغطات، والهفوات التي وقع فيها إحسانِ ظهير، وعن كثير من الحقائق التي لفّقها.

علي مات بمرض السرطان، وإليك عبارته التي يقول فيها: (ثم مرض بمرض سرطان ومات من ذلك سنة ١٣٨٠ هـ)[١].

أقول: أوّلاً: إنه لا بأس بأن يموت أحدٌ في مرضٍ شاء الله تعالى أن يموت فيه، فإنه من رضا الله تعالى وقدره، ولا كلام على قدر الله تعالى ورضاه، فإنَّ رضانا في رضاه، وذلك هو الإيمان، إلّا أنَّ ظهير يذكر هذا الموت في سياق الإهانة والمسِّ من شرف شخصٍ كان يخالف وجهات نظره. وإن كان أوفق للحقِّ والصواب أن يعاملَ ظهير معاملة باحثٍ متأنٍّ بلا انحياز؛ إذ الباحث لا يتحايد إلى جانب من الجوانب وبالأخصّ الباحث في الأديان والأفكار، ولكنه للأسف الشديد لم ينج ظهير من داء اشتكى منه لآخرين طول حياته، ولم يسلم من بلاء العصبية والتحيز، التي هي عبارة عن سُمٍّ قاتلٍ للباحثين، كما يمكنك أن تعرف من هذه السطور لظهير، وأمثال هذه العبارات التي تترشح منها دماء العصبية والجهالة، كثيرةٌ في كتابه المذكور.

---

(١) ينظر: البريلوية لإحسان إلهي ظهير، ص: ٥٣.

ثانياً: لم يذكرْ أحد من الذين ترجموه أنه مات بمرض السرطان، وإنما ذكرَ أخوه الشيخ محبوب علي في ترجمته أنه اكتشف في مكتوب من الشيخ إلى العلامة مشتاق أحمد النظامي - رحمه الله تعالى - المطبوع في مجلة "باسبان" الشهرية بعددها الخاص برد الخوارج باسم "مسافر كربلا" جاء فيه: أنه أصيب سُمّاً في بعض ماكولاته. وقد ظهر أثره فيما بعد، ممّا أدّى إلى وفاته - رحمه الله تعالى[1].

وهذا الذي أكَّده الدكتور غلام يحى أنجم أيضا في كتابه "مولانا حشمت علي اللكنوي، دراسة تحقيقية[2]". ولا شكَّ أن هذين الكتابين من أوثق المراجع التي تعالج حياة الشيخ، وبالأخصّ الكتاب الأول فإن كاتبَه أقرب شخصٍ إليه مكاناً وزمانا، ولهذا من المعقول أن نعتمد عليه دون غيره.

---

(١) ينظر: شير بيشه أهل السنة، ص: ٢٤٣.

(٢) ينظر: ص: ١١٣ - ١١٤. والكتاب باللغة الأردية واسمه فيها: "مولانا حشمت علي اللكنوي - ايك تحقيقي مطالعه".

ثالثاً: أكّد جميع المترجمين له أنه مات بسُمٍّ دَسَّ به أعداؤه من الوهابية في طعامه، ولم يظهر أثره إلا فيما بعد، وإني لم أجد أحدا ممن ترجم له أن يذكر أنه مات بمرض السرطان. فالاحتمال الكبير أن هذا الخبر كاذبٌ، وإنما هو ممّا نال منه بإشاعته أعداؤه الذين ذاقوا شرَّ هزيمةٍ في ميدان المناظرة.

رابعاً : ومن العجيب أن المرجع الذي أشارَ إليه ظهير هذه العبارة لم أجد فيه هذا الشيء، فمن أين جاء ظهير بهذا السرطان، لا أدري! أفليست هذه خيانةٌ علمية؟ وهل تليق بباحثٍ يدّعي بالأمانة؟ وهل يُسمح بها لأحدٍ، وبالأخص لباحث في الأديان والأفكار أن ينسب إلى خصمه ما ليس فيه؟ أفلم يُؤمر في القرآن الكريم أنه ينبغي للمسلم أن يعدل وحتى مع الأعداء؟ أو لم يقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ – المائدة / ٨﴾.

فلنفرض أن مولانا حشمت علي كان من ألدِّ أعدء الإسلام – حسب ظنه – ولكنه ألم يؤمَر ظهير أن يعدل معه

وينصف حسب ما جاء في هذه الآية الكريمة؟ إذن ما الذي يحرِّضه على مخالفة القرآن الكريم، وهو يتشدق بالإيمان بما جاء في القرآن والحديث؟! أو ليس هذا خداع! والخداع صفة المنافق.

خامساً: يذكر خلفه الأكبر قصةَ مرضِه ويصف حالة انتقاله من الدنيا فيقول: إنه كان مضطجعا، وقال: تنحُّوا عني خلوني أقرأ، ففاضت روحه وهو يتلو سورة يس من القرآن الكريم، وبعد الانتقال كان وجهه مشرقاً، ويقول: إنه لم ير ميتا أجمل منه في تلك اللحظات فكأنه يكاد يبتسم.

هذا ما يخبره من كان معه من الأحبة والمرافقين، ويقول من كان حاضرا عند موته، ولكن ظهير يقول إنه مات بالسرطان، فهل كان ظهير حاضرا آنذاك؟ ومن الأمر الأكيد أنه لم يكن موجودا، فهل كانت روحه حاضرة؟ وإن كان كذلك فظهير مشرك حسبما يعتقد هو نفسه أن الذي اعتقد عن النبي ﷺ أنه كان حاضراً وناظراً فإنه مشرك، فظهير مشرك بالدرجة الأولى؛ لأنه جعل نفسه حاضرا. وإذا لم يكن حاضرا فهل هو مطلع على الغيب، والغيب يختص بعلم الله تعالى، وهو وأمثاله يقولون إنه مَن

اعتقد أن النبي ﷺ يعرف الغيب فهو مشرك. على هذا لا بدَّ أن يكون ظهير مشركا؛ لأنه أخبر عن مرضٍ لم يعرفه أحدٌ حتى مَن كان حاضراً آنذك ألا وهو مرض السرطان. نعوذ بالله من مرض السرطان وسرطان الشرك الذي غاص فيه ظهير !!!

انتقاله إلى رحمة الله تعالى:

توفي الشيخ – رحمه الله – يوم الأحد ٨ من محرم الحرام سنة ١٣٨٠هـ / ٣ يوليو ١٩٦٨م، في مدينة "بيلي بهيت" تاليا سورة يس من القرآن الكريم، صلّى عليه خلفه الأكبر شيخنا ومرشدنا المفتي محمد مشاهد رضا خان القادري – رحمه الله تعالى – ودفن في الساعة العاشرة من الليل عند أولاده في أرضٍ كان قد اشتراها لنفسه، ولم يرض أن يُدفن في مقبرة العوام؛ وذلك لئلا يقع الناس عند زيارة قبره، في سوء الأدب لقبور الآخرين[1]. وقبره في هذه المدينة عبارة عن المشهد الجميل الذي يُتبرك ويُزار. (اللَّهمَّ نوّر قبره، واجعله روضةً من رياض الجنة).

(١) ينظر: سوانح شير بيشه أهل سنت، ص: ٢٥٧.

من أقواله المأثورة:

لقد كان شيخنا - رحمه الله تعالى - ينصح أتباعه لثلاثة أشياء دائما:

أولا: الاعتصام بالإسلام والسنة.

ثانيا: الاجتناب عن أعداء الله - جل جلاله - ورسوله - ﷺ من الوهابية والديابنة وغيرهم.

ثالثا: لا ينبغي الإصرار على الخطأ واللّجوء إلى التأويل الخاطئي، بل يجب تسليم الأخطاء، ومن ثمَّ الرجوع عنها، أمّا محاولة تحويل الأخطاء إلى الصواب فهي ضلالة[1].

صلته بالإمام أحمد رضا البريلوي:

إنَّه لا بُدَّ من ذكر الصِّلة بين الشيخ والإمام أحمد رضا خان البريلوي – نور الله تعالى مرقده - على وجه الخصوص، تلك الصلة المباركة التي قد أحدثت في نفس شيخنا انقلابا خطيراً، وأثَّرَت في فكره تغييرا جذريا. فقد ذكرنا فيما سبق أن الشيخ كان

---

(١) ينظر: سوانح شير بيشه أهل السنة، ص: ١٩٥ – ١٩٦. ومولانا حشمت علي، للدكتور غلام يحيى أنجم، ص: ٢٧٣.

طالبا في إحدى مدارس الفكر الوهابي، ثمّ اطّلع على كتاب للإمام أحمد رضا خان البريلوي " تمهيد إيمان "، فاستوعبَه قراءةً، واطّلع على ما فيه من عقائد وأفكار تتبنى على حب النبي المصطفى ﷺ واحترام الصالحين، مما أحدث في نفسه ثورةً على ما كان يسمعه من أساتذته الوهابيين من تكفير المسلمين، والإساءة الوقحة في شان الرسول الأكرم ﷺ.

وذكرنا أنه بعد الاطلاع على كتاب الإمام المذكور اشتاق إليه فبايعَ العلامة أمجد علي المعروف بصدر الشريعة في الهند، نيابةً عنه، ثمَّ ارتحل إلى "بريلي" فغرف عنده مناهل العلم والمعرفة، فجعلته نظرةُ الإمام الكيمياوية إماماً في فن المناظرة يُشار إليه بالبنان، ولا يضاهيه أحد في هذا الشان، ومنحه الإمام قوةً في هذا الميدان، لم يدانِه أحدٌ فيه، ولم يواجهه خصم حتى أفحمَه بالبراهين فكأنَّ الخصم أخرس لم يملك اللسان.

وتعلّق قلبُه بحبِّ شيخه الإمام أحمد رضا، تعلُّقاً قلَّما يُرى له نظير بين الشيخ ومريده في العصر الحاضر، والإمام أحمد رضا أيضا كان يحبُّه حبّاً جما لِما كان يرى فيه من آثار النجاح في جبينه.

ونظراً إلى مؤهلاته لقّبَه الإمام بأبي الفتح، وقال له: أنت ولدي المرافق، كما قال: أنت ولدي الروحاني، ولقبه بـ "غيظ المنافقين"، وأجرى له وظيفةً شهريةً قدرُها خمس روبيات هندية[1].

وممَّا يدل على حبِّه العميق للإمام أحمد رضا البريلوي أنه كان يعَدُّ نفسَه من عبيد الإمام وخدّامه، فكان يكتب لنفسه "عبيد الرضا"، وكان يفتخر بنسبته إليه؛ إذ إنه لم يذقْ طعمَ الوصال بالنبي ﷺ إلا بفضله، ولهذا كل ما أعطاه الإمام كان يجلِّه ويكرمه، ويوثره على غيره، كما كان يحبُّ الكنية المعنوية "أبو الفتح" التي أعطاها الإمام حينما ظفر بالفتح لأوّل مرةٍ على خصمه، مع أنَّ العلماء لقبوه بـ "شير بيشه أهل سنت" التي تعني بالعربية "أسد غابة أهل السنة"، ولكنه كان يحبُّ أن يكنى بـ"أبي الفتح"[2]؛ لأنه

---

(١) ينظر: سوانح شير بيشه أهل سنت، ص: ٤٣ و٤٦.

(٢) ينظر: صدر الشريعة – حيات وخدمات (مجموعة أعمال المؤتمر الذي انعقد سنة ١٩٩٧م، حول شخصية صدر الشريعة العلامة أمجد علي من تلامذة الإمام أحمد رضا البريلوي – رحمهما الله تعالى)، مطبوعة دائرة المعارف الأمجدية، كهوسي، مئو، اترابراديش

لقبٌ كان قد أعطاها شيخه المبجَّل المفدَّى الذي بدعائه ياتيه النصر المبين.

وخلاصة القول أنّ الإمام أغدق عليه بالفضل والكرم، والشيخ جعله قرةً لعينيه وسكينةً لقلبه.

نماذج من اعترافات أهل عصره بمكانته:

لقد كان وثيق الصّلات مع علماء عصره من أهل السنة والجماعة، ولهذا رثاه معاصروه بدموعٍ حارّةٍ تخبرنا عن مدى علاقاته الوطيدة معهم، وما كان يملأ قلوبهم باعتراف جميل، نقدِّم هنا ما قال فيه معاصروه من أهل السنة والجماعة:

أولا: قال محدث الهند الأعظم مولانا سيد محمد الأشرفي الكشوشوي: (لقد كان يعترف بعلمه وبفضله أعداؤه من أعماق قلوبهم واليوم بلسانهم، وهذا مما يقال: "الفضل ما شهدت به الأعداء"، ومن حسن أخلاقه أنه لم يكن يتأدّب لأكابره فقط، بل كان يتأدّب لكل مؤمن صغير. ولا ريب في أن تعامله الحافل

(الهند) سنة النشر ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، مقالا بقلم مرتِّبه مولانا فيضان المصطفى القادري، ص: ٤٠٩ – ٤١٠.

بالكرم والفضل اليوم منارة الهداية للجمهورية الإسلامية، ولقد كانت حياته كلُّها مزينة بعاطفة التقوى واتباع السنة، ومن لا يعرف دوره الرائد في إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل؟ فقد أسكت المسيحيين، وأبهت الآريين، والمشهور في الديابنة أنه أذاقهم بطعمة الهلاك، ومن جانب آخر كان يصاحبه القدر مع قاتلي الإحسان إلا أنه ظلَّ جبلا شامخا في مواجهة التحديات، ولم ييئس، ولم تخر قواه، والله يعلم! كم من المؤهلات اجتمعت في نفسيته القدسية)[1].

ثانيا: وصفه ابن شيخه مفتي الهند الأعظم مولانا مصطفى رضا القادرى بصفات تنبئ عن عاطفة مشبوبة بالقدر والاحترام بينهما، كما كتب في محضر الخلافة في البيعة والإرشاد بقلمه الخطي، في ٢٢ من صفر المظر سنة ١٣٨٠هـ وهذا نصه: (أسد الملة، وناصر أهل السنة، وكاسر البدعة، وأسد غابة السنة،

---

(١) ينظر: مجلة "پاسبان" الشهرية بالأردية، تصدر من مدينة إله آباد (الهند) العدد الخاص عن "شيخ الملة" سنة ١٣٨٠هـ نقلا عن كتاب "مولانا حشمت علي اللكنوي:، ص: ٣٢٩.

ومظهر أعلى حضرة، وناشر أحكام الشريعة الغراء والطريقة البيضاء، حضرة مولانا ذو الفضل الجلي المولوي حشمت علي القادري الرضوي –رضي الله تعالى عنا وعنه)[1].

ثالثا: قال أستاذ العلماء حافظ الملة مولانا عبد العزيز المرادآبادى: (لاشك أن الخدمات الجليلة التي قدَّمَها تكتب بأحرفٍ من النور إلى بقاء الدنيا، ولم يكن له مثيل في مجال الدعوة والمناظرة)[2].

رابعا: قال فيه إمام النحو في الهند مولانا السيد غلام جيلاني الميرتى: (كان الموصوف (أسد أهل السنة) من تلك الشخصيات المعدودة التي خلقت لأجل خدمة الدين، وتشهد لخدماته الدينية كل بقعةٍ من بقاع الهند والباكستان. وقد أخرج ألوف النفوس البشرية من قعر الضلالة إلى مجد الهداية، وكان

---

(١) مولانا حشمت علي، ص: ٣٢٩.

(٢) ينظر: مجلة "پاسبان" الشهرية باللغة الأردية، العدد الخاص عن "شيخ الملة" سنة ١٣٨٠هـ نقلا عن كتاب "مولانا حشمت علي اللكنوي"، ص: ٣٢٩ – ٣٣٠.

يتصف بصفتين كليهما: (أشداء على الكفار ورحماء بينهم) إلا أنه قد غلبت على طبيعته لون الصفة الأولى)[1].

خامسا: قال فيه إمام المعقولات مولانا القاضي شمس الدين أحمد[2]: (إن خدماته الدينية في هذا العصر المليء بالفتن جدير بأن تكتب بماء الذهب، ولا يمكن أن ينسى فضله العظيم على الأمة، وبالأخصّ لا نظير لمحاسنه القولية والقلمية في مجال إحقاق الحق وإبطال الباطل، والعالَم شاهد على أنه لم يخف أحدا ولم يرتعد قط، وأما فضله وكماله فقد يقدر بأن عبارات أغياره التي أساء بها هؤلاء في جناب الله تعالى ورسوله - عليه الصلاة والسلام - والصالحين، كانت على طرف لسانه، وقد كان يقف أمامه اللغوي الماهر كالطفل)[3].

---

(١) مولانا حشمت علي، ص: ٣٣٠.

(٢) توفي سنة ١٩٨١م.

(٣) ينظر: مجلة "پاسبان" الشهرية باللغة الأردية، العدد الخاص عن "شيخ الملة" سنة ١٣٨٠هـ، نقلا عن كتاب "مولانا حشمت علي اللكنوي"، ص: ٣٣٠.

سادسا: يقول خطيب الشرق العلامة مشتاق أحمد النظامي: (يا أسداه! لقد كنت بقية العهد القديم، متصلّباً في الدين، مثالاً حيّاً للإمام أحمد رضا، كان فيك يتراءى أدب حجة الإسلام، وفلسفة صدر الأفاضل، وكنت محبوبا لصدر الشريعة، فقد كنت بطلا لعالم أهل السنة، كنت عديم النظير في جامع الصفات، فقد كنت محدثا على بساط التدريس، والفقيه الأعظم في دار الإفتاء، وخطيبا على منصة الدعوة، ورئيس المجودين في عالم التجويد والقراءة، وإماما مسلّم الثبوت في ميدان المناظرة)[1].

سابعا: مجاهد الملة حضرة الشاه مولانا محمد حبيب الرحمن القادرى[2]: (كانت فضائله الظاهرة تصدع بشهرة الآفاق، وأمّا الفضائل الباطنية فلا يعرفها إلا أهلها. ولا شك أن انتقاله إلى

(١) ينظر: مجلة "پاسبان" الشهرية باللغة الأردية، العدد الخاص عن "شيخ الملة" سنة ١٣٨٠هـ، نقلا عن كتاب "مولانا حشمت علي اللكنوي"، ص: ٣٣١.

(٢) سنة ١٩٨١م.

رحمة الله تعالى لَفاجعةٌ عظيمة للدين والمذهب وأهاليه، وبالأخصِّ في هذا العصر الذي يعاني من شحة الرجال)[1].

(١) ينظر: مجلة "پاسبان" الشهرية باللغة الأردية، العدد الخاص عن "شيخ الملة" سنة ١٣٨٠هـ، نقلا عن كتاب "مولانا حشمت علي اللكنوي"، ص: ٣٣٢.

المبحث الثاني

صفاته ومؤهلاته

غيرته على الدين:

كان شيخنا – رحمه الله تعالى – غيُوراً على دينه وعقيدته، لم يداهن أحداً في الدين أبدا، ولم يسمع كلمةً تخالف دينه وعقيدته إلّا وردَّ عليها ردّاً عنيفا. فقد ذُكِر أنَّ خطيباً من الخطباء المسلمين كان يخطب في إحدى المناسبات الإسلامية على المنصّة العامة أمام الجماهير الحاشدة، فوصف سواد سيدنا بلال – رضي الله تعالى عنه – بسواد ظهر المخبز، والشيخ كان ياكل الطعام، فترك الطعام وجاء إلى المنصَّة، وقال: عليك أن تتوب إلى الله؛ فإن سيدنا بلال – رضي الله تعالى عنه – لم يكن أسود كسواد ظهر المخبز، وإنما كان سواده كسواد غلاف الكعبة(١).

---

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ١٤٥.

سبحان الله! هذا هو أدبه واحترامه مع الصحابة والصالحين، وأمّا أدبه واحترامه للنبي ﷺ فقد كان يتمنى أن يضحي بحياته في سبيل رضاه ﷺ.

ويُذكر أنّ الناس من أتباعه أصرُّوا عليه أن يلتقي بكبير وزراء الهند في قضية لأخيه في المحكمة، ولكنه رفض، ولمّا ألحُّوا عليه إلحاحا شديدا قبِلَ طلبَهم، وذهب إلى كبير الوزراء لملاقاته، وحينما وصل إلى بيته، استقبله استقبالا حارا وأجلسَه في قصره في غرفة الجلوس، وقبل أن يقدِّم عليه الشيخ القضية استطرد الوزير قائلا بأسلوب المجاملة: أنا لا أفرِّقُ بين المساجد والمعابد الهندوسية، وكلاهما في نظري سواسية. فما أن سمع الشيخ هذا القول صاح قائلا: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وقال: كلا! ديننا الإسلام حق، ودين الهندوسية باطل، وهناك فرق كبير بين المساجد والمعابد الهندوسية، إنما المساجد بيوت الله. وإنّ الله تعالى

يُعبَد فيه كما هو شانه، وأمَّا المعابد فهي بيوت الشرك تُنتَهك فيه حرم الله، فكيف يمكن أن تتساوى المساجد والمعابد![1].

كان الشيخ محمد أحمد ماهر القادري يسافر مع الشيخ إلى البنغال، وفي الطريق بدأت السماء تمطر مطرا غزيرا، فقال ماهر، ولم يزل هو طالبا: "إن الله تعالى ينزل المطر بلا فائدة". فلما أنْ سمع الشيخ هذا الكلام غضب عليه، ولم يرض إلا بالتوبة[2].

هكذا كان - رحمه الله تعالى - يرفع كلمة الله تعالى بلا خوف ولومة لائم، دون مجاملة ومداهنةٍ، ويغار على الله تعالى ورسوله ﷺ فكان لا يقبل أدنى جراأةٍ تمسُّ عظمة الله تعالى، وشرف النبي ﷺ، صدق الله تعالى في أمثال هؤلاء؛ إذ قال: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ - يونس/ ٦٢﴾.

(١) مولانا حشمت علي، ص: ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٤.

زهده وتقواه:

كان الشيخ متقيا ورعا، كان يواظب على الصلوات الخمس في الحضر، كما كان يواظب عليها بالسفر، ومن عادته أنّه كان يستاك عند كل وضوء، وكان يهتمُّ بالوضوء بالإسباغ الكامل من أداء الواجبات والسنن والمستحبات[1]، وذلك كما روى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أمتي يدعون يوم الْقيامة غُرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)[2].

وكان من عادته الميمونة أنه كان يداوم بالذكر وبتلاوة ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم يوميا بعد صلاة الفجر، وكان يواظب على هذا العمل في السفر أيضا سواء كان السفر بالقطار، أو بالعربات. وكذلك كان يقرأ دلائل الخيرات، ويُكثِر من الصلاة

(١) ينظر: شير بيشه أهل سنت، ص: ٢٤٨.

(٢) رواه البخار ي في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: فضل الوضوء والغُر المحجّلون من آثار الوضوء، ص: ٢٥.

على النبي ﷺ. وكان يكثر من الأذكار الإلهية بعد صلاة المغرب والعشاء أيضا[1].

كان زاهدا في الدنيا، لم يبتغ من الدنيا سوى ما كفاه مؤونته من المسكن والملبس، ولم يطمع إلى مال قط، يُذكر أنه كان مسجد في ممبئي، وكان جزء من المسجد يطلع على الشارع، وبإزائه كان معبدا هندوسيا، فأراد الأشرار من الهندوس أن يهدموا هذا الجزء وإلا يسمح لهم أيضا أن يضيفوا في بناء المعبد، واستشكل الأمر إلى أن وصلَ الحال إلى نزاع دام، ورضي بعض المسلمين أن يهدم هذا الجزء، إلا أن عامة من المسلمين قالوا: ما يقول الشيخ حشمت علي فهو أمر. فجاء إليه رجل ثري من المسلمين، قدَّم إليه الفلوس، فسأله الشيخ ما هذا؟ قال شيخي أريد أن تخطب أمام الجماهير بهدم هذا الجزء، فغضب غضبا شديدا وزجره زجرا

(١) ينظر: شير بيشه أهل سنت، ص: ٢٤٨.

عنيفا، ورمى بالفلوس على وجهه قائلا: هل تريد أن أشتري الدنيا بالإيمان. وخرج من عنده فورا، ولم يصغ له شيئا(١).

تمكنه من اللغة العربية:

مرَّ بنا عند ذكرِ زيارته للحرمين الشريفين أنَّ الشيخ كان قد حاور الشرطة السعوديين بالعربية دون الاستعانة بالمترجم، وكانت مناقشته بالعربية قويةً جدا مما يلمح لنا أنه لم يواجه أية صعوبة في أداء بنات ضميره، وإنما كان متمكِّنا منها كل التمكن، وله قدرة كاملة على إيصالها إلى المطلوب، وقد مرَّت بنا نماذج منها، وهنا أكتفي بذكر شهادة العلامة أرشد القادري – رحمه الله تعالى – الذي حكى أنَّ الشيخ كان في مباكفور، وكان قد جاءه إثنان من العرب الفلسطينيين المهاجرين، وكان معهم طفل صغير،

---

(١) ينظر: مولانا حشمت علي، ص: ١٤٢ – ١٤٣.

اسمه جود الله. فتكلّم معهم بالعربية وبكل طلاقةٍ، وكنا في مجلسه فتعجبنا من قدرته على هذه اللغة[1].

(١) ينظر: كلمة التكريم التي كتبها العلامة أرشد القادري – رحمه الله تعالى – على كتاب الدكتور غلام يحى أنجم المصباحي "مولانا حشمت علي اللكنوي" ص: ٦٦.

المبحث الثالث

أعماله وخدماته

(أ) مؤلفاته:

القلادة الطيبة المرصعة: هذا الكتاب عبارة عن أجوبة على الأسئلة السبعة التي أثار حولها الجدالَ العلماءُ الديابنة. وقد طبع هذا الكتاب مرارا.

قهر القهار: في بيان الأحكام الشرعية على أقوال غير شرعية للزعماء المسلمين الذين يتفوّهون أقولا غيرَ شرعيةٍ مجاملةً لغير المسلمين من الهندوس وغيرهم، مما لا يليق بمسلمٍ غيورٍ قطعا. وقد طبعت هذه الرسالة مرةً واحدةً.

الصوارم الهندية: عبارة عن مجموع الفتاوى والتقريظات لعلماء أهل السنة تصديقا لحسام الحرمين. ويحتوي هذا المجموع على ٢٦٨ تقريظا. والمجموع مطبوع ومتداول بين الناس.

الأنوار الغيبية: رسالة تتحدث في إثبات علم غيب للرسول الأمي الحبيب ﷺ الذي أطلعه ربُّه على ما شاء من علوم ومعارف. وقد طبعت هذه الرسالة مرة واحدة.

الفرح والتاج لمحب محفل المعراج: رسالة في إثبات معراجه ﷺ جسمانيا. وللأسف أن الرِّسالة لم ترَ وجهَ المطبع إلى الآن.

فتح الأبرار على الكفار: مجموعة من الأسئلة والأجوبة، لم تطبع بعد.

جمال الإيمان: هذه رسالة قيمة تردُّ على الأقوال الخرافية لإسماعيل الدهلوي(1)، التي اشتمل عليها كتابه "تقوية الإيمان". وقد طبعت مرة واحدة.

---

(1) هو رئيس الوهابية في الهند، ومجدِّدُها، إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم، الدهلوي، وُلِد في دلهي في ١٢/ ربيع الثانى سنة ١١٩٣هـ في أسرة عزيزية معروفة بالعلم. توفي أبوه في صباه، فتربَّى في مهد عمِّه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي، وقرأ عليه الكتب الدرسية، واستفاض عن عمَّيه الشيخ رفيع

الدين والشيخ عبد العزيز أيضا، ولازمهم مدة طويلة، كما لازم السيد أحمد بن عرفان البريلوي، وأخذ عنه الطريقة، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٣٧هـ فحجَّ وزارَ ورجع معه إلى الهند وساح البلاد. كان بِدعا من الناس، غريبَ الأفكار، فخالف الجمهور وابتعد عن المذهب الحق، واتخذ طريقا آخر. ترجم أفكار محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتاب سمَّاه "تقوية الإيمان"، وبه فرَّق كلمة المسلمين في هذه الديار، وحال بينهم وبين تاريخهم القائم على المحبة، والأدب، والاحترام للأنبياء والصالحين، وأنشأ حركة التكفير والتضليل، حتى لم ينج من سهامه أبوه، ولا عمُّه، ولا جدُّه، بل خالف هذا الرجل جميعَ أسلافه، ينقل صاحب نزهة الخواطر عن "اليانع الجني" أن من مؤلفاته "تنوير العينين"، انفرد فيها بمسائل عن جمهور أصحابه، وله كتاب آخر في "التوحيد" و"الإشراك" فيه أمور في حلاوة التوحيد والعسل، وأخرى في مرارة الحنظل"[1]. ولأفكاره المناهضة للإسلام قُتِل في "بالاكوت" في ٢٤ذي قعدة سنة ١٢٤٦هـ. (تنظر ترجمته: نزهة الخواطر، ٧ /٥٨-٦٢).

شمامة العنبر: هذه رسالة في تحديد الموضع للأذان الثاني لخطبة الجمعة. وقد طبعت هذه الرسالة مرة واحدة.

بشت خار در افتخار: هذه رسالة ترد على المتصوف المزوَّر. وقد طبعت هذه الرسالة مرة واحدة.

الهيبة القهارية: هذه مجموعة من وقائع مناظراته مع الآريين وغير المقلدين. وقد طبعت هذه المجموعة مرة واحدة.

سل الصوارم الصمدية: هذا الكتاب يكشف القناع عن عقائد الوهابية، وأفكارهم المناهضة للإسلام. وقد طبع مرة واحدة.

تفسير إمداد السبحان[1]: كان قد بدأ شيخنا تفسير القرآن الكريم، وسمّاه بـ"تفسير إمداد السبحان" إلّا أنَّ الوقت – وللأسف الشديد – لم يصاحبه، فتوفي قبل أن يكمل – رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

(١) سوانح شير بيشه أهل سنت، ص: ٢٢٨ – ٢٣٠.

هذه وغيرها من كتب صغيرة الحجم وكبيرها، ألّفها الشيخ غضون الأشغال والأعمال الكثيرة المتشعبة، وليس ذلك إلّا بتوفيق الله تعالى الذي وفّق علماءنا بالتأليف في أصعب الأحوال والظروف، ممّا لا يوفق له الآخرون مع توفر الوسائل والأسباب. فالحمد لله على ذلك. (اللهم اجعلنا من المؤلفين الموفّقين).

(ب) خطبه ومواعيظه:

من المعروف أن الخطابة فن موهوب من الله تعالى، له وظيفة مهمة في نشر الإسلام ومبادئه، لا يخفى على أحد، ولهذا من وهب بهذا الفن فقد وهب قوةً على الدعوة والتبليغ. فإن الله تعالى كان قد وهب شيخنا صوتا جميلا جدا غير أنه لم يكن ناعما، وإنما كان ناصعا جهوريا، وهذا مما ساعده على إلقاء الخطب والمواعيظ بأحسن طرق، فقد كان الشيخ خطيبا موهوبا فطريا، خطابته تمسك الهواء، وتستلفت الأنظار، وتستقطب القلوب.

وممّا يُذكَر أنَّ خطابته كانت علميةً إصلاحيةً منبثقةً من عمق الفكر الإسلامي، يذكر العلامة أرشد القادري – رحمه الله تعالى – أن خطابته كانت تنقسم في خمسة مقاطع آتية:

المقطع الأول: كان يبدأ خطبته باللغة العربية، ولم تكن عادته هذه إلا حباً بالعربية؛ لأنها لغة الحبيب المصطفى ﷺ كان يطيل بها نحو ٢٥ دقيقة، يحمد الله تعالى ما يشاء أن يحمده من صفات تليق بوجه جلاله تعالى، ثم يصلي ويسلم على نبيه الأعلى – صلاة الله عليه صلاة وتسليما – ويذكر محامده بأوصاف ما شاء الله تعالى أن يعطر مجلسه بذكراه – عليه الصلاة والسلام. ويُذكر أنَّ الناس كانوا يستلذون بخطبته العربية مع أنهم كانون لا يفهمون، كما يستلذ به من كان يفهمه من الخاصة، وذلك لإلقائه البديع، فضلا عن حلاوة العربية، التي لا يعرف صبابتها إلا من ذاقها.

المقطع الثاني: من عادته أنه كان يُنشِد مديحا في جناب النبي ﷺ من مدائح الإمام أحمد رضا خان البريلوي التي كتبها في حب النبي ﷺ، وبلحن جميل يسحر الناس.

المقطع الثالث: بعد الإنشاد كان يمهد تمهيدا جميلا للآية الكريمة التي كان أراد أن يجعل خطبته حولها، ثم يتكلم حول عظمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة كلاما جميلا.

المقطع الرابع: وبعد شرح عظمة النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة كان يخبر عن عبارات المسيئين في شان الرسالة، ويردُّ عليها ردّاً بليغا، حتى يتهلل الجمهور بشراً، وتتعالى أصوات التكبير تخرق آذان الأفلاك.

المقطع الخامس: وأخيرا كان ينصح المسلمين الحفاظ على الإيمان، والمواظبة على الصلوات الخمس، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، والتجنب عن المعاصي والذنوب. كما كان يوكِّد لهم أن يبتعدوا عن أصحاب الهوى والضلال، لا يواكلوهم ولا يشاربوهم، ولا يجالسوهم لئلا يتأثروا بأفكارهم الفاسدة فتفسد حالهم[١].

هكذا كان يضرب أكباد الهند بطولها وعرضها، ويتجمل بمتاعب السفر، ليرشد الناس إلى الطريق المستقيم. وحقّاً فقد

(١) تنظر: هذه المقاطع الخمسة في كلمة التكريم التي كتبها العلامة أرشد القادري – رحمه الله تعالى – على كتاب الدكتور غلام يحى أنجم المصباحي "مولانا حشمت علي اللكنوي"، ص: ٦٨ – ٧١.

استفاد بخطبته خلق لا يُحصى، ويقال إنّه كان يحضر في خطبته حشد كبير لا يقدر.

(ج) تنشيطه حركة إصلاحية باسم "جماعة رضاء المصطفى":

من مساعيه المشكورة في سبيل الدعوة والإرشاد تنشيطه حركة إصلاحية باسم "جماعة رضاء المصطفى" وهي حركة دينية تعني بالدعوة إلى الإسلام وإصلاح المجتمع من أوحال الفساد والمنكرات، من موسسيها شيخنا مولانا اللّكنوي، وقد أدّت هذه الحركة خدمات دعويةٍ عظيمةٍ وتابعت الكفر والضلال بالوعي الإيماني الصادق استهدي بها خلق كثير من الشعب الهندي السذج. وبالأخصّ ما يذكر دورها الرائد في إخماد حركة "شدهي" لتحويل المسلمين إلى الهندوسية بالمغريات الدنيوية، فضلا عن خدمات أخرى لهذه الجماعة (جماعة رضاء المصطفى) تقوم بها في طول البلد وعرضه حسب الإمكانيات المحدودة المتاحة لها.

(د) جمعية علماء أهل السنة لعموم الهند:

لقد حاول علماء أهل السنة وعلى راسهم العلامة حشمت علي - رحمه الله تعالى - أن يجمعوا المسلمين من أهل السنة والجماعة على رصيف واحد، ولهذه الفكرة جاء نظم جمعيةٍ لعلماء عموم الهند، وبهذه الجمعية استطاعوا أن يجمعوا قوتَهم لحقبةٍ من الزمن، إلا أنّها تعرضت للإنقسام، ولم تُجدِ نفعا في عصرنا هذا ما كنا نترقب منها لسبب وآخر.

(هـ) نشاطاته السياسية والاجتماعية :

تتضح نشاطاته السياسية في اتخاذه مواقف حاسمة من القضايا العصرية الحساسة الساخنة لمصالح المسلمين، نذكر منها على سبيل المثال موقفه الأبي الرافض بتاتا لسياسية القادة المسلمين في تقسيم الهند، وإذا درسنا موقفَه المتصلب هذا نجده سديدَ الرأي، مستقبليَ النظر، قويمَ الفكر، جريءَ الهمّة، مجاهداً لا يخاف ولا يعبأ، يقول الحقَّ ولو كان في رقبته، يظهر بما كان عنده وإن أدّى ذلك العبور على جسور من النار؛ وذلك لما أشربت نفسه الأبية الحب في الله والبغض لله حيث لم تطرف عيناه لحظةً، ولم يدق

قلبه إلا بالإيمان، ولم ينفس إلا بالإخلاص، وكل ذلك يظهر في موقفه الحاسم تجاه التقسيم بين الهند والباكستان، الذى كان قد أخذ بقلوب أغلب المسلمين خاصّتهم وعامتهم، والرأي الذي ساد على أذهان المسلمين هو التائيد الكلي للباكستان، وكانوا يرون هذا الرأي رأيا صائبا إلا أنه خالف هذا الرأي السائد، وتصدّى له بكل المسؤولية الإيمانية، وكان يقول لو تُقسَّم الهند بين جزأيين لَمَا يستطيع المسلمون تغسيل ذنبهم هذا أبدا، وكان يمنعهم من إتباع محمد علي جناح وراء هذه النظرية؛ لأنه كان يرى أنَّ هذه النظرية لم تقم على أسس من المباديء الإسلامية المخلصة[1]، بل خالطتها الأغراض الذاتية والمطامع السياسية المحضة، والمآرب النفسانية، التي لم تنظر إلى الحقيقة الواقعية، إلا بمنظار العواطف الجياشة التي ضاع فيها مصير المسلمين الصادق.

(١) ينظر: تاريخ المشايخ القادرية، للأستاذ الدكتور غلام يحى أنجم، ص: ٤٣١ – ٤٣٣.

هذا، ومن جانبٍ آخر كان يرى فضيلة الشيخ أنه لو حصل التقسيم فمن يكفل بمستقبل المسلمين في الهند وهم في الأقلية؟ وماذا سيكون مصير الآثار الإسلامية من المساجد والعتبات المقدسة والمباني التراثية الضخمة، وغيرها من معالم المسلمين؟

ثمَّ ذلك التقسيم الذي ارتضى به محمد علي جناح لم يكن تقسيما عدلا، بل كان ظالما، وإلّا فكيف يمكن تقسيم دولةٍ بين جزئين لا تربط بينهما حدود جغرافية، وهما: الباكستان الشرقية، وهي البنغلاديش حاليا، التي كانت جزءاً من الهند تقع في شرقها، والباكستان الغربية، وهي الباكستان حاليا تقع في غرب الهند. من هنا يطرح السؤال نفسه على محمد علي جناح بأنه هل كان مخلصا أم كان طامعا في القيادة أو الرئاسة؟

هذه وغيرها أسئلة طال عليها الأمد، إلا أن الذي يقطع به القول هو أنَّ الخواطر التي خطرتْ ببال مرشدنا الجليل، قد صدقت، حيث تعرَّضت عزةُ المسلمين الهنود للمخاطر الهندوسية، وأهدرت دماء آلاف من المسلمين آنذاك، واختلقت مشكلة كشمير، وانتهكت حرم الأمكنة المقدسة ولا تزال تهدم المساجد

من قبل المتطرفين الهندوس، كما هُدِم المسجد البابري في سنة ١٩٩٢م، وما إلى ذلك من أمور تبكينا دماءاً، وتنزع أكبادنا من أجسادنا نزعا، ولِمَ لا يحدث كل هذا؟ فالمسلمون قد ضاعت من أيديهم حكومتهم، كما ضاع سلطانهم، وضعفت كلمتهم في الهند، كما تقطعت الباكستان إربا، فجزرت جزرا، وأصبحت الباكستان الشرقية بنغلاديش المستقلة حسب الخطط الاستعمارية، وهكذا باء المسلمون بالتفتيت والتقسيم، فلولا التقسيم لما تعرَّض المسلمون بمصائب، ولَمَا ذهب عِزُّهم وشموخهم، ولساغ لهم أن يشكّلوا دولة جمهورية مقاليدها بأيديهم، كما كانت بأيديهم قبل الاستعمار الانجليزي، ولكن الاستعمار لم يرتض بأن تعود الدولة إلى أصحابها المسلمين الذين نُزِعت من أيديهم قهراً، فمهد السبل للتفكيك على ضابطة الاستعمار المشهور "فرِّقْ تسد"، واستغل العقولَ المغرضة لذلك، وأثار العواطف كالعادة، ولم يبق سوى عدد الأنامل من يدرك الأمر الواقع، ويتصدى للأهواء. فيا أسفاه! قلَّ المفكِّرون المخلصون المدبِّرون من أمثال شيخنا. إنا لله وإنا إليه راجعون.

(و) شعره:

مع هذه الصفات كلها كان الشيخ شاعرا أيضا، إلا أن شعره لم يخرج من حياض الدين، فإما أن قال في حمد الله مستغيثا به، أو في مدح النبي ﷺ والصحابة والصالحين – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – على غرار شيخه الإمام أحمد رضا خان القادري – نور الله تعالى مرقده – ويفعم مدحه بالشوق والحنان إلى روضة النبي الأكرم ﷺ.

المبحث الرابع

اشتغاله بالدعوة والمناظرة

المناظرة لغة واصطلاحا:

المناظرة: من ناظَرَه يناظر مُناظَرَة. والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وقيل: المثل في كل شيء. وفلان نَظِيرُك. أي: مِثْلُك؛ لأنه إذا نَظَر إليهما النَّاظِرُ رآهما سواءً. وقال الجوهري: ونَظِيرُ الشيء مِثْلُه. وحكى أبو عبيدة: النِّظْر والنَّظِير بمعنًى مثل النِّدِّ والنَّدِيدِ، ويقال: ناظَرْت فلاناً، أي: صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة. وناظَرْتُ فلاناً بفلان، أي: جعلته نَظِيراً له[1].

وقد تكون المناظرة ماخوذةً من النظير، أو من النظر بمعنى الإبصار، أو بمعنى التفات النفس إلى المعقولات والتامل فيها، أو بمعنى الانتظار، أو بمعنى المقابلة، ووجوه التشابه في جميعها واضحة[2].

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (نظر).

(٢) ينظر: المناظرة الرشيدية، مطبوعة رضا أكاديمي، ممبئي، ص: ٩.

أما المناظرة في الاصطلاح، فقد جاء في "المناظرة الرشيدية" أنها عبارة عن: توجه المتخاصمين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب[1].

وقد فرَّق صاحب "المناظرة الرشيدية" بينها وبين المجادلة والمكابرة، فقال: والمجادلة: هي المنازعة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم.

والفرق بينهما والمكابرة هو أن المكابرة تعني المنازعة، لا لإظهار الصواب، ولا لإلزام الخصم أيضا[2].

وقد عرَّفها الأستاذ محمد محي الدين أحمد، فقال: المناظرة تطلق على تردد الكلام بين شخصين يقصد كلٌّ واحد منهما

(١) المناظرة الرشيدية، ص: ٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسُه، ص: ١٢ – ١٣.

تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق"[1].

ومن العلماء من لم يفرِّق بين المناظرة والمجادلة كليا، بل جعل بينهما "عموم خصوص مطلق"، كما يقول صاحب المصباح المنير: (جادل مجادلة وجدالا، إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب. هذا أصله، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لإظهار أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم)[2].

وفي القرآن الكريم جاءت المجادلة بمعنى المناظرة مقترنا بالتي هي أحسن، فقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ - النحل / ١٢٥﴾. وقال

---

(١) ينظر: رسالة الآداب في علم أدب البحث والمناظرة"، للأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد، ص: ٦. نقلا عن كتاب "أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية" للدكتور زياد العاني، ص: ٣٤.

(٢) ينظر: المصباح المنير، ١/ ٤، مادة: (جدل).

تعالى: ﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ – العنكبوت / ٤٦﴾.

نماذج من مناظرات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام:

حكى الله تعالى مجادلة سيدنا نوح – عليه السلام – مع قومه فقال: ﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ – هود / ٣٢﴾.

وكما صوّر القرآن الكريم مجادلة سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – للنمرود فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ – البقرة : ٢٥٨﴾.

وهناك غير هذه من المواضع يتحدث فيه القرآن الكريم عن مناظرات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –.

مناظرة النبي ﷺ:

قد جرت مناظرات ومجادلات كثيرة بين الرسول المصطفى ﷺ وبين كفار قريش من جهةٍ، وبين اليهود من جهة أخرى، كما دارت بينه ﷺ وبين نصارى نجران، والقصد من كل ذلك توضيح الحق وهداية القوم[1]، وإليك بعض الأمثلة لذلك:

مناظرته لعدي بن حاتم: قال ابن إسحاق: أما عدي بن حاتم فكان يقول فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أمّا أنا فكنت إمرأ شريفا وكنت نصرانيا، وكنت أسير في قومي بالمرباع فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي. فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام لي عربي، وكان راعيا لإبلي، لا أبا لك. أعدد لي من إبلي جمالا ذللا سمانا، فاحتبسها قريبا مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد ﷺ قد وطيء هذه البلاد فأذن، ففعل، ثم أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي! ما كنت صانعا إذا غشيتك

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص: ٣٦.

خيل محمد فاصنعه الآن فإني رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد، قال: فقلت: فقرب إلي جمالي، فقرّبها فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام. فلمّا قدمتُ الشام أقمت بها، ويمضي عدي يقصُّ علينا كيفية إسلامه. فينتهي إلى الأخذ برأي أخته التي كانت أسيرة عند رسول الله ﷺ فمن عليها حيث قالت له: أرى والله أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا، فلن نذل في عز اليمين، وأنت أنت، قال: قلت: والله إن هذا لرأي. يقول عدي: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله لعامد إليه، إذ لقيته إمرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجاتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقدَّمَها إليَّ، فقال: إجلس على هذه، قال: قلتُ: بل أنت إجلس، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ

على الأرض، قال: فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: أيه يا عدي بن حاتم! - وهنا تبدأ المناظرة - أ لم تكن ركوسيا؟ قال: قلت: بلى. قال: (أ لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟) قال: قلت: بلى. قال: (فإن ذلك لم يكن يحل لك في دين). قال: قلت: أجل!! والله، قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعرف ما يجهل، وفي رواية: فقال لي: يا عدي بن حاتم! أسلم تسلم. قال: قلت: إني على دين. قال: أنا أعلم بدينك منك. فقلت: أنت أعلم بديني مني؟ قال: نعم! أ لست ركوسيا، تاكل مرباع قومك. قلت: بلى. فإن هذا لا يحل لك في دينك. قلت: نعم! فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، قال: فأما أني أعلم الذي يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما منعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تجيء تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى المال والسلطان في

غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم. قال: فأسلمت[1].

حاجة العصر إلى المناظرة:

كما لا يخفى على أحد أن السلاح الذي حمله الدعاة المسلمون لم يكن عبارةً عن السيف فقط، بل استخدموا كلَّ نوع من الأسلحة التي وفرت لهم في كل زمان مراعين في ذلك طبيعة الزمان والمكان والموقف، فكما نرى بعضهم يتقدّم بالسيف في خدمة الإسلام، وبعضهم الآخر يهدم حصون الكفر بالإخلاص والعمل، ومنهم من يحمل سلاح العلم فيناظر به الخاصة من أصحاب الملل والنهل والهوى من المسلمين وأعيان الكفر والضلال من غيرهم، ليتجلى الحق على الناس، ولا تكون المناظرة عبثا أو الاعتناء بها لا يفي شيئا كما يظن البعض، وإنما المناظرة سنة نبينا - عليه الصلاة والتسليم - كما حكى لنا القرآن الكريم في تضاريس سوره المباركات أمثلةً ونماذج من جدال الأنبياء

(١) ينظر: سيرة ابن هشام، ٤ / ٥٧٨ - ٥٧٩.

ومناظراتهم مع أقوامهم، وكما جرت مناظرات بين الأقوام السالفة وأنبيائهم كذلك قد جرت مناظرات ومحاولات كثيرة بين الرسول ﷺ وبين كفار قريش من جهة، وبين رسول الله ﷺ وبين اليهود من جهة أخرى، وكما جرت مناظرة بينه وبين نصارى نجران، وكان قصد الرسول ﷺ من كل مناظراته ومجادلاته توضيح الحق والصواب وهداية الأقوام إلى الطريق المستقيم، كما مرَّ بنا كل ذلك.

ولا شك أن الآراء تختلف والأذهان تتباعد، وحاجة الدعوة إلى الحق تكون باقيةً إلى يوم القيامة، والدعوة تقتضي الإفهام والتفهيم والإقناع باساليب مختلفة، فمن أساليب الإقناع المناظرة التي تعني إقناع الآخر بما يعتقده، والإقناع في نفس الأمر ليس من نصيب الباطل، وإنما نصيبه من الحق. إذن ما زالت الحاجة إلى الدعوة، وحاجة الدعوة إلى الإقناع باقية، تبقى الحاجة إلى المناظرة باقية؛ إذ يتوصل بها الإنسان إلى الحق بالمباحثة والمناقشة، والإفهام والتفهيم.

وللمناظر لا بدَّ من علم شامل، واطلاع واسع، ونظر عميق، فضلا عن قوة الكلام، وسرعة الإدراك، وما إلى ذلك من الخصائص التي كانت تتوفر في الشيخ العلامة محمد حشمت علي، يقول المفتي شريف الحق: (إن الله تعالى كان قد منح أسد أهل السنة جامعية تامة لا ترى، بل لا تسمع في غيره، إلا أن الوصف الذي اشتهر فيه عالميا هو مناظرته)(١).

نماذج من مناظرات الشيخ:

فإذا كانت المناظرة هي توجه المتخاصمين في النسبة بين الشيئين اظهاراً للصواب ليسترشد به الناس إلى الصراط السمتقيم. فقد أشربت نفس شيخنا هذه الفكرة ووقرت في سريرته، فتوجه إلى التصدي أمام جميع التحديات والهجمات التي واجهها الإسلام من أعيان الكفرة والمرتدين في شبه القارة الهندية، فألجم لسانهم، وردّ كيدَهم إلى نحورهم بالحجج الدامغة، وبالقوى الإيمانية، فقد ناظر جميعَ الملل الباردة في الهند من

(١) ينظر: مجلة "نوري كرن" الشهرية، الصادرة من بلدة "بريلي"، سنة: ١٩٦٠هـ، نقلا عن: مولانا حشمت علي، ص: ٢١٦.

المسيحيين، والمناذكة، والوهابية، والقاديانيين، والمتصوفة الملحدين، وغيرهم من أصحاب الهوى، فجزاه الله خيرَ الجزاء، وألبسه لباس العز يوم القيامة. وإليك نماذج من مناظراته:

مناظرته مع الديوبنديين:

قبل أن نذكر شيئا من مناظراته مع هذه الطائفة يحسن بنا الوقوف عندها لنعرف عقائدها وأفكارها والأسس التي كانت تدور حولها رحى المناظرات، فمن أكابر علماء الوهابيين الديوبنديين في الهند: محمد إسماعيل الدهلوي، والمولوي أشرف علي التهانوي(١)، والمولوي رشيد أحمد الغنغوهي(٢)، والمولوي

---

(١) قد مرّت بنا ترجمته.

(٢) هو رشيد أحمد بن هدايت أحمد بن بير بخش بن غلام حسن، بن غلام علي بن علي أكبر بن محمد أسلم الأنصاري، ولد في السادس من ذي القعدة سنة ١٢٤٤هـ في غنغوه من أعمال سهارنفور أترابراديش، تلمّذ على مولانا مملوك علي، وصاحبَ قاسم النانوتوي، له مجموع فتاواه المعروف بـ "الفتاوى الرشيدية" التي جمع فيها كلَّ غث وسمين، مات في ٨ من جمادى الآخرة سنة

خليل أحمد الانبيتهوي[1]، والمولوي محمد قاسم النانوتوي[2]، وغيرهم.

١٣٢٣هـ المصادف ١١ أغسطس سنة ١٩٠٥م. (ينظر ترجمته في: تذكرة الرشيد، تأليف: محمد عاشق علي الميرتي، مكتبة إشاعة العلوم بسهارنفور).

(١) هو خليل أحمد بن مجيد علي بن أحمد علي بن قطب علي بن غلام محمد الأنصاري الأنبيتهوي، ولد في أواخر صفر سنة ١٢٦٩هـ في قرية "نانوته" من أعمال سهارنفور أتربرديش، ونشأ ببلدة "أنبيتهه"، قرأ في المدرسة العربية بديوبند وفي مظاهر العلوم بسهارنفور، من مصنفاته: "المهند على المفند"، و"إتمام النعم"، و"بذل المجهود"، وغيرها، مات في ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ في المدينة المنورة. (ينظر ترجمته في: نزهة الخواطر، ٨/ ١٣٣-١٣٦).

(٢) هو قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش الصديقي النانوتوي، ولد بـ"نانوته" سنة ١٢٤٤هـ، ودخل سهارنفور في صغره، قرأ المختصرات على الشيخ محمد نواز السهارنفوري، ثم سافر إلى دلهي وتلمّذ على الشيخ مملوك علي النانوتوي، وقرأ عليه

والمسائل الحديثة التي أحدثَها العلماء الديابنة من الوهابيين المغالين كثيرةٌ، منها ما هي عقدية، ومنها ما هي فرعية، فمن أفكارهم العقدية:

(أ) إمكان كذب الله تعالى. (نعوذ بالله العظيم):

اختلف الوهابية مع أهل السنة والجماعة في إمكان القدرة الإلهية فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى اسم جامع للصّفات الكمالية، أمَّا العيوب والنقائص فالله تعالى سبحانه منزّهٌ عنها، فالعيوب لا تدخل تحت قدرته تعالى أصلا، ولهذا لا يصدر الكذب من الله تعالى، ولا يمكن أن يصدر منه تعالى عما يصفون. وأما الديابنة فيقولون إنَّ الله تعالى قادر على الكذب وإن لا يكذب؛ لأن العبد لما كان قادرا على الكذب، فمن الضروري أن يقدر الله عليه، وإلّا يلزم أن قدرة العبد تفوق قدرته تعالى، وهذا

سائر الكتب، وأخذ الحديث عن الشيخ عبد الغني، ومن مصنفاته: "الحق الصريح"، و"تحذير الناس"، و"الدليل المحكم"، وغيرها، مات في ٤ من جمادى الأولى سنة ١٢٩٧هـ بديوبند. (ينظر: نزهة الخواطر، ٧/ ٣٩١- ٣٩٣).

محال. وعلى هذا أصرَّ إسماعيل الدهلوي في رسالته "يك روزه" الفارسية، الذي يصرِّح فيه إمكان صدور الكذب من الله تعالى وإن لا يصدر[1].

وكذلك أصرَّ على هذه الفكرة محمود الحسن الديوبندي[2]، فقال: (الأمر السابع هو أنه هناك فرق بين صدور القبائح والقدرة على القبائح؛ فإن الأمر الأول محال في حقّ خالق الكائنات عند أهل السنة والجماعة، وأمَّا الأمر الثاني فهو من المسلَّمات، يعرف الجميع أنه لا تصدر الأفعال القبيحة من ذات الله تعالى لكنه يسلم

(١) ينظر: "يك روزه" لإسماعيل الدهلوي، مطبوعة ملتان، ص: ٦٢.

(٢) هو محمود حسن بن ذو الفقار علي الديوبندي، ولد سنة ١٢٦٨هـ في بريلي، ونشأ بديوبند، قرأ العلم على السيد أحمد الدهلوي، وقاسم النانوتوي، وغيرهما من علماء الديابنة، مات في ١٩ من ربيع الأول سنة ١٣٣٩م في دلهي، ونُقِل إلى ديوبند، ودفن بجوار أستاذه قاسم النانوتوي. (ينظر: نزهة الخواطر، ٨/ ٤٦٥- ٤٦٩).

جميع أهل الحق بأن الأفعال القبيحة في مقدور الله مثل الممكنات الذاتية الأخرى)[1].

ثم يعلِّل محمود هذه الفكرة فيقول إن القبح في الصدور، وأما في المقدرة فلا حرج في ذلك، بل يثبت كمال قدرته تعالى[2].

هكذا خالف محمود ومن معه من السابقين واللاحقين أهلَ السنة والجماعة، وإن نسب محمود هذه العقيدة إلى أهل السنة تلبيسا؛ لأن أهل السنة والجماعة يجعلون الله تعالى اسما جامعا للصفات الكمالية، فالعيوب والنقائص ليست مما تصدر عنه – جل شانه – كما إنها ليست من الممكنات له؛ إذ القدرة الكاملة لا علاقة لها بالعيوب والنقائص.

---

(١) الجهد المقل في تنزيه المعز والمذل، تاليف: محمود الحسن الديوبندي، مطبوعة لاهور، ص: ٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٤١.

(ب) مسئلة اختيارات الرسول (ﷺ):

من المسائل التي أثارَ حولها الوهابية، مسألة اختيارات الرسول الأكرم – عليه أفضل الصلاة والأسلم – فيذهبون إلى أنَّ الرسول لا يملك لنفسه شيئا، ولا فرق بينه وبيننا إلا كفرق الأخ الكبير والأخ الصغير، وأمَّا أهل السنة والجماعة فيرون أن الله تعالى أعطى الإنسان اختياراً في الأفعال والأعمال، وبناءاً على هذا الاختيار سيحاسبهم يوم القيامة، فإذا كانت هذه حال عامّةٍ من المسلمين، فماذا عن رسوله – أفضل الخلق كلهم – الذي أعزَّه الله تعالى وأعطاه اختيارا كاملا؛ فإنَّ الله تعالى يؤتي من يشاء وإنه لذو فضل عظيم. إلا أن الوهابية يُصرِّون على خلاف ذلك، أنظر ما قاله إسماعيل الدهلوي في كتابه "تقوية الإيمان": (من كان اسمه "محمد"، و"علي" فلا اختيار له)[1].

(١) تقوية الإيمان لإسماعيل الدهلوي، ص: ٢٨.

(ج) مسئلة علم الرسول (ﷺ):

من المسائل الخلافية علم الرسول ﷺ، فالموقف الصحيح المعتدل لأهل السنة والجماعة أن النبي ﷺ يعلم الغيب بعطاء الله تعالى، لا لذاته، بينما ترى طائفة أن النبي ﷺ لا يعرف الغيب مطلقا، ولا مزيَّةَ له ﷺ في ذلك، بل علمه كعلم زيدٍ وعمرو، بل كعلم صبي ومجنون، بل يشترك في ذلك جميع الحيوانات والبهائم، يقول أشرف علي التهانوي في كتابه "حفظ الإيمان": (لو يصحُّ إطلاق علم الغيب لذاته ﷺ[1]، حسب ما يقول زيد، فالأمر المسئول عنه أنَّه ما المراد بهذا الغيب؟ بعض الغيب أم الكل فإن كان المراد به بعض العلوم الغيبية فأيُّ تخصيص للنبي في ذلك، مثل هذا العلم يحصل لزيد وعمرو، بل لكل صبي ومجنون، بل لجميع الحيوانات والبهائم)[2].

---

(١) في النص المنقول لم تكن عبارة " ﷺ "، وإنما هي مما أثبتناها.

(٢) حفظ الإيمان، تأليف: أشرف علي التهانوي، مطبوعة مكتبة تهانوي بديوبند، (الهند)، ص: ١٥.

هذه هي عبارة أشرف علي التهانوي الخطرة التي اعترض عليه علماء أهل السنة، ونبَّهوه لذلك إلا أنه بغى وتكبَّر، ولم يتب عمّا بدرَ منه، وهذا أشدُّ شقاوةً!

فإننا نرى أنَّه شبَّهَ علمَ النبي ﷺ بعلم الصبي، والمجنون، بل بالبهائم والحيوانات، ولا شكَّ أنَّه إهانة في شانه ﷺ لا يقبلُها أيُّ عقلٍ سليم أن يُشبَّه علمه بعلم البهائم، مهما كان مراده بعض علم الغيب أو كله. وما الذي نقص منه لو ناقشَ المسألة دون تشبيه بالحيوانات، بل صرف عقله بالبحث في النصوص لإثبات علم الغيب أو إنكاره.

وتحقيق المسألة هو أن علمه ﷺ ليس ذاتيا، وإنما هو عطائي، منحَه الله تعالى حسب ما تقتضي حكمته في ذلك، فقد أعطى الله تعالى عباده العامة كثيراً من الخصوصيات والقدرات. ولا نقاش في ذلك، إلّا أنَّه طوَّلَ المسألة بلا جدوى، فوقعَ فيما لم يقع به إنسان مؤمن غيور. وهذا من نصيب الوهابية الذين جعلوا الإهانة والإساءة شانا لهم، ومذهبا يعتزُّون به.

(د) مسئلة ختم النبوة:

يقول المولوي قاسم النانوتوي في كتابه "تحذير الناس":

(يعتقد العامة من الناس أن معنى خاتم النبيين أنه نبي آخِر، ولكنه واضح على أهل الفهم أنه لا فضيلة بالذات في تقدم الزمان وتاخره)[1].

فكما ترى أن القاسم النانوتوي كيف أنكرَ ختم النبوّة بإنكار أفضليته ﷺ بكونه آخر النبيين، وهذا مما لا شكَّ فيه أنَّه ضلال مبين، ولهذا ألزمَه علماء أهل السنة، ونبّهوه على هذه الخطأ، ودعوه إلى الرجوع إلا أنه أيضا تكبر فغوى، فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم الذي يجرأ الإنسان على ارتكاب الخطأ والإصرار عليه.

(١) تحذير الناس، تأليف: قاسم النانوتوي، مطبوعة مكتبة تهانوي بديوبند (الهند)، ص: ٤.

(هـ) تصوُّر الرسول في الصلاة:

لقد غالى الوهابية في إنكار التوجه إلى النبي ﷺ غُلوّاً لا شأن له في الماضي، فقال رئيسهم إسماعيل الدهلوي: (إن تذكر الجماع مع الزوجة في الصلاة، والغرق في فكر الحمار والثور أفضل من التوجه إلى الرسول ﷺ)[1]. (نعوذ بالله من ذلك).

ثم يضيف إسماعيل معللا: (إن التوجه إلى الرسول، أو الشيخ ينجر إلى التعظيم، وهذا شرك، وأما الغرق في تصوُّر الحمار والثور فهو تحقير، ولهذا لا حرج في ذلك)[2].

هكذا أساء هذا الرجل، وجرح جميع مشاعر المؤمنين الذين أشربت نفوسهم حب الله تعالى وحب رسوله، والذين أُمِروا بقراءة دعاء القنوت، وفيه "السلام عليك أيها النبي"

---

(١) ينظر: الصراط المستقيم للإسماعيل الدهلوي، النسخة المترجمة بالأردية، مطبوعة ديوبند، ص: ٨٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٨٦.

فالرسول – عليه السلام – يأمرنا المؤمنين بالسلام عليه، أما هذا الرجل فيجعله شركا!

علاوة على ما مضى من عبارات وقحة في شان الله تعالى وشان رسوله الأعلى هناك عبارت أخرى صدرت من أقلامهم لقصور نظرهم ولضيق صدورهم، لم نقصد في هذه العجالة استيعابها، وإنما القصد هو عرض الأسس والقواعد التي بنيت عليها الاختلافات بين علماء الهنود من أهل السنة والديابنة، التي جرَّتهم إلى منصة المناظرات حينا، وإلى الحروب الدامية حينا آخر، وأساس ذلك هو هوى النفس، وإلّا فالمسائل لم تكن تتجاوز إلى هذا القدر سوى التوبة والاحتياط في جناب الله تعالى وشان رسوله الأكرم – عليه التحية والثناء.

ولهذه الإهانات في شان الله تعالى ورسوله الأعلى – عليه التحية والثناء – اضطرَّ الإمام أحمد رضا أن يرفع قلمه ويردّ عليها ردّاً بليغاً، لو قرَأه الباحثون المسلمون وأظهروا براءَتهم عن هذه العبارات المعترض عليها لكان الأفضل والأسلم.

وإن أغلب مناظرات الشيخ حشمت علي قد دارت بينه وبين هؤلاء الديابنة الوهابية حول هذه العبارات التي كتبها هؤلا ما لا تليق بشان الله تعالى ورسوله الأعلى - كما ذكرناها — وهي العبارات التي أغار لها أتباعهم من الوهابية الذين ألقوا النصوص الشرعية وراء ظهورهم ودافعوا عن رؤوسائهم، دفاع الجنود عن الطغاة الظالمين.

أقول: لماذا أغار الديوبنديون لهذه العبارات، فهل هي قطعات من القرآن والحديث حتى يغاروا لها بهذا القدر من المباحثة والمناقشة التي طالت في الهند. أو تجديهم نفعا وتدخلهم الجنة حتى لزم عليهم أن يدافعوا عنها، والعجب أنهم لا يدافعون عن أعراض النبي ﷺ تلك المدافعة الإيمانة التي ستدخلهم الجنة، وإنما يدافعون عن عبارات فيها تشبيهات بالبهائم! أفهذا هو الإيمان!

والعجب العجاب أن أكثر المناظرات التي دارت بين علماء السنة والديوبنديين هي هذه العبارات التي تمسُّ شرف النبي ﷺ وإن كان الأفضل لهم أن يتوبوا ويخلصوا لحبِّ الله ورسوله.

وأقول على سبيل الفرض لو نقبل أنَّ هذه العبارات فيها احتمالات للتاويل - وإن كانت هي صريحة في مآلها - مع ذلك لا ينبغي لهم أن يصرِّوا عليها؛ إذ إنها ليست نصوص سماوية، وأو لم يمنعوا من أن لا يرتعوا حول حمى الملك، وهي المشتبهات من الأمور، كما قال النبي ﷺ: (ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإنَّ لكل ملكٍ حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه)(١).

فإذا كان هذا هو حكم المشتبهات، فبماذا يحكم على هذه المصرَّحات التي فيه إساءةٌ بيِّنةٌ (اللهم اهدهم عقلا سليما).

قلنا إن هذه العبارات الوقحة والمسيئة في شان الله وشان الرسالة جرَّت علماءَ الهند من أهل السنة والجماعة، والوهابية الغالية إلى منصّة المناظرات دون التوبة والاستغفار والتأدب لله تعالى ولرسوله المكرّم ﷺ، ونشبت معارك طاحنة بينهما، واشتعل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، المجلد الأول، ص: ١٣.

لهيبها فيما بعد فلم يجد أهل الحقِّ بُدّاً من الدخول في الساحة للذود عن العقيدة الصافية، وتنبيه الناس عن فساد هذه العبارات، وما تؤدي من تجاف وبعد بين المسلمين وبين نبيِّهم الذي جعل حبه من الإيمان في القرآن والسنة، فإن علمَه لا يمكن أن يُشبَّه بعلم البهائم، وهو ليس مثلنا، وما إلى ذلك من أمور.

ومن العلماء الذين نهضوا لهذه العقائد الشيخ العلامة الداعية مولانا حشمت علي، الذي تصدّى لهم من قبل أهل السنة، فجاهدهم جهادا عظيما وبكل الطرق الممكنة، وناظرَهم في أرجاء الهند، فله مناظرات مع أصحاب هذه الفرقة في مختلف مواضع الهند، نقدِّم هنا نماذج مناظراته معهم:

مناظرة أدري: لهذه المناظرة أهمية خاصة من بين مناظرات الشيخ، فقد انعقدت هذه المناظرة في "أدري" من محافظة "أعظم كراه" من الولاية الشمالية الهندية في ٢٤ / ٢٥ / ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢هـ وكانت هذه المناظرة بين المولوي منظور السنبهلي الديوبندي، ومعه أتباعه الكثيرون يصل عددهم إلى مائة وخمسين عالما، بينما كان الشيخ وحدُه إزاءهم، ولهذا كان الناس من

أهل السنة يريدون أن يكون معه من علماء أهل السنة مَن يسانِده فدعي مولانا عبد الأحد، ومحدِّث الهند الأعظم الشيخ محمد الكشوشوي للمشاركة في هذه المناظرة، لكنه لم يقبل لمشاغله المتراكمة، لكنَّه استيقنَهم بالفتح المبين، فكتب إليهم قائلا: "أمَّا المنظور فيكفيه أعزُّ الإخوان الفاضل جليل الشأن مولانا المولوي حشمت علي خان، وليس هو كاف فقط، وإنما الحق أنه تنزل بقبول هذه المناظرة هضماً لنفسه، ومن يعرفه فيعرف أيضا أنه لم يحظَ إلا بالفتح والنصر المبين، أمّا المنظور والمفرور فالقافية واحدة... ولهذا ليس من الضروري أن أشارك "[1].

كان موضوع هذه المناظرة "علم الغيب وعالم الغيب"، وكانت قد ابتدأت هذه المناظرة من ٢٤ جمادى الآخرة، كتابةً، ثم تحوّلت إلى المباحثة والمناقشة اللسانية، فقد جاء الديوبنديون في هذه المناظرة بحديث النخلة الذي جاء فيه قوله ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم). مستدلين على أنَّ الله تعالى لم يطلع نبيَّه على علم

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ٢٣١.

الغيب، فقال مناظرهم: أنظر أن علم الصحابة كان أكثر من علم النبي ﷺ؛ لأنه في الحديث "أنتم أعلم" وهو اسم تفضيل، يقتضي المفضل منه وهو النبي ﷺ، والمفضل الصحابة، فثبت بأنَّ علمَ الصحابة كان أكثر من علم النبي ﷺ (معاذ الله).

فأجابَهم أسد أهل السنة أن صيغة "أفعل" تاتي لثلاثة معان: الاسم الصريح كالأكمل، والصفة كالأحمر، واسم التفضيل كالأفضل. أمّا اسم التفضيل فيستعمل بثلاثة طرق، الأول باستعمال "من"، والثاني بالألف واللام، والثالث بالإضافة، وهنا لم تستعمل صيغة "أفعل" بإحدى هذه الطرق الثلاث، فعُلِم أن صيغة "أفعل" هنا ليست للتفضيل، وإنّما هي صفة محضة، ولهذا لم يثبت أن علم الصحابة كان أكثر من علم الصحابة!(١).

بمثل هذه الدلائل القاهرة بهت الديابنة، ولم يبق لهم سوى أن يقِرُّوا بأنَّ الله تعالى قد أطلعَ نبيَّه ما شاء أن يُطلِع على علم الغيب، كما أخبرنا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ٢٣٢ – ٢٣٣.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً - النساء / ١١٣﴾.

وحينما عجز الديوبنديون أمام هذا الأسد من الجواب، وشعروا بالفشل، لم يجدوا بُدا من الفرار، فلجأوا إلى الشرطة، وبالآخر باؤوا بالهزيمة الساحقة[١]، وصدق ما قاله محدث الهند الأعظم مولانا الشاه الكشوشوي أن المنظور والمفرور قافية واحدة مشيراً إلى مناظر الديوبنديين الذي كان اسمه المولوي "منظور" على وزن "مفرور" فلا ياتي في حقه إلا الفرار، أما حشمت علي فمن نصيبه الفتح المبين، إن شاء الله العظيم.

وهناك مناظرات أخرى كثيرة بين الشيخ والديوبنديين حول العبارات التي سبقَ ذكرُها، ومن أهم هذه المناظرات "مناظرة رانديرِ"، و"مناظرة سنبهل"، و"مناظرة ملتان"، وغيرها من المناظرات التي أذاقَ الشيخُ الديوبنديين فيها شرَّ هزيمةٍ، فلم

---

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ٢٣٢.

يجدوا بدّاً من الدسِّ في بعض ماكولاته، فانتقل من هذه الدنيا مؤمنا مجاهِداً في سبيل الله. (نوَّرَ الله تعالى مرقدَه).

مناظرته مع غير المقلدين:

مناظرة بنجاب: انعقدت هذه المناظرة في ولاية "بنجاب" الهندية، ولهذا سُمِّيت نسبةً إليها، وانعقدت هذه المناظرة بين غير المقلدين من جانبٍ، والآريين من جانب آخر في ٢٥ ذي قعدة سنة ١٣٤٢هـ/ ٢٩ حزيران سنة ١٩٢٤م في "فيروزفور" من ولاية "بنجاب" الهندية، وذلك في وقت كان قد وصلت عداوة الآريين للإسلام والمسلمين إلى ذروة لا تطاق، فاستطلب أهالي هذه المنطقة علماء أهل السنة لقمع هذه القوى الباطلة، فوصلهم الشيخ نعيم الدين المرادآبادي، وأسد أهل السنة الشيخ حشمت علي، وغيرهما، يوم الجمعة ٢٣ من ذي قعدة، وانعقدت حفلة عامة بعد صلاة الجمعة، احتشد فيها جمعٌ كبيرٌ، فخطبَهم الشيخان حول موضوع "مذهب فيدك" خطبا مؤثرة للغاية، مما ألقي في قلوب

الآريين خوفا ودهشةً، فبدأوا يماطلون، وبالآخر لم يستطعوا المواجهة، وباؤوا بالفشل خاسئين، ونصر الحق عزا وشموخا"[1].

وأمّا غير المقلدين الذين يسمون أنفسهم "جماعة أهل الحديث" فقد ارتكبوا خطأ كبيرا؛ إذ واجهوا هذا الأسد المغوار، فلم يحرزوا سوى الذل والخذلان، وإليك شيئاً من تفاصيل هذه المناظرة:

كان شيخنا – رحمه الله تعالى – مناظرا من قبل أهل السنة، ومن قبل أهل الحديث عيّن المولوي عبد الرحيم شاه المكهوي مناظرا، وقبل بدأ الحوار استكتب الشيخ أن يقِرَّ عبد الرحيم أنه عالم، وإنكار آيةٍ من القرآن كفرٌ، فكتب مناظر أهل الحديث المولوي عبد الرحيم: "أنا عالم، وإنكار آيةٍ من القرآن كفرٌ".

وحين بدأ المناظرة قام المولوي عبد الرحيم، فقدّم حديث النبي ﷺ: إن أمتي يفترقون في ثلاث وسبعين فرقة، كلهم من النار سوى فرقة واحدة ...). وبعد تقديم الحديث قال: فعرف من

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ٢٤٢.

هذا الحديث أنَّ الفرقة الناجية هي واحدة فقط، وهي أهل السنة والجماعة، ونحن أهل الحديث فقط أهل السنة والجماعة؛ لأننا نؤمن بالأحاديث، ونتبع الصحابة، وأمّا أنتم فلا تؤمنون بالحديث، وإنما تتبعون أقوال الأئمة، وتقلِّدون شخصا معينا، ولهذا أنتم لا تتبعون الجماعة، فثبت أنكم لستم من أهل السنة والجماعة، إذن أنتم ناريون، والفرقة الناجية هي جماعة أهل الحديث فحسب.

بعد خطبته هذه سألَه الشيخ عِدَّةَ أسئلة فقال: قل لي "السنة والجماعة" أي لفظ هذا؟ وأيّ تركيب هذا؟ وما هي نوعية الألف واللام فيه؟ وهل هذا التركيب عربي أم فارسي؟ وحملته على نفسك، فأيُّ حمل هذا، جائز أم لا يجوز؟ وأنت تقول إننا لا نتبع سوى الحديث! فقل لي بأيِّ حديث يثبت أنَّ فرقة أهل الحديث تسمى بأهل السنة والجماعة؟

فلم يستطع مناظر فرقة "أهل الحديث" الجواب عن الأسئلة التي أمطرَها الشيخ عليه، فقال: إن رسول الله ﷺ أشار بخط إليه، وقال: هذا صراطي المستقيم، وخطين شمالا، وخطين

يمينا، وقال: هذه طرق الضلال. أنظر هكذا عبر رسول الله ﷺ عن ضلال المذاهب الأربعة.

على هذا تقدَّم شير خان الذي كان رئيسا لهذه المناظرة، وقال: لو تثبت بحديث أن المراد من هذه الخطوط الأربعة هي المذاهب الأربعة، فلك مئتان روبية جائزة على الفور، وإن لا تستطع فحذار من بيان المفهوم الخاطيء!

فبهت مناظر أهل الحديث، ولم يستطع أن يقدم حديثا على ما ظن أنه لا يعمل سوى على الحديث، فخاب وخسر، وفتح الله أهل السنة والجماعة بظفرٍ مبينٍ في هذه المدينة، وتفاصيل المناظرة دونت في كتاب، وسميت بمناظرة بنجاب، وقد طبع مرتين[1].

مناظرته مع الآريين:

لقد نشطت في الهند الجمهورية حركات كثيرة مناهضة للإسلام، منها حركة "شدهي" لتحويل المسلمين إلى الهندوسية غضون النصف الأول من القرن الماضي، وبسطت أجنحتها

---

(١) ينظر: مولانا حشمت علي اللكنوي، ص: ٢٤٥ – ٢٤٦.

لتحوّل المسلمين السذج إلى الهندوسية المشركة، وهي حركة قوية ضد الإسلام على غرار التبشير المسيحي، والماسونية، والصهيونية، وغيرها من حركات تريد المسَّ من الدين الحنيف الذي يدعو إلى عبادة الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فقد نشطت وما زالت نشطةً في مآربها الخبيثة، وتعتقد أبناء هذه الحركة من الهندوس المتطرفين الغلاة أنَّ الهند للهندوس ولا حقَّ للمسلمين أن يعيشوا على ظهر هذه الأرض، وعليهم أن يهاجروا إلى الباكستان، كما يعتقد منهم أن المسلم لا بُدَّ أن يُقتَل، فقد سمعت أذناي، ولقد رأت عيناي، ووعى قلبي ما كان يقول هندوسي متطرف أنَّ المسلمين جميعَهم إرهابيون، فاقتلوهم حيثما ثقفتموهم.

هذا، وأكثرهم يعتقدون أن الهند ليست جمهوريةً، بل هي دولةٌ هندوسيةٌ، ويسعون لتحقيقها على غرار الأسبان الذين أخرجوا المسلمين من "أندلس"، ولتحقيق هذه الفكرة الخبيثة تسعى حركاتٌ ومنظَّماتٌ في ربوع الهند المعمورة، وعلى فكرتها تعرَّضَ وما زال يتعرض المسلمون للقتل والنهب والظلم والعدون من جانب، وسلب الحقوق من جانب آخر، فضلا عن

غسل أذهان المسلمين الهنود من الأفكار الإسلامية السمحة وامتلائها بالأفكار العلمانية المسمومة، بالطرق الغير المباشرة، وتحويل المسلمين إلى الهندوسية بطرق مباشرة.

في مثل هذا الوضع الخطير الرهيب تصدّى الشيخ لروّاد هذه الحركة وأبنائها وقام بخدمات مثالية يتغنى بها الدهر فقمع محاولاتهم، وغلب عليهم بالقوة الإيمانية، فقد جاء في نشريات جريدة "دبدبه سكندرية" ١٩ نيسان عام ١٩٢٣م أنه حينما نشط رجل الدين الهندوسي "شردهانند" بحركة "شدهي" وأثّرت هذه الحركة في أذهان كثير من المسلمين السذج من غير المثقفين في مناطق من الهند، كانت هذه الأحوال إذ سمع الشيخ أنَّ "شردها نند" سيصل إلى قرية "آنور" من مقاطعة "كوبردهن" لنشر دعوته إلى الهندوسية، فقصد الشيخ مع أصحابه رجالا وركبانا إلى هذه القرية، بعد وصوله إلى القرية دعا أهاليها ليخطبهم، فلم يصغوا له لتأثرهم بالآريين الهندوس إلا بعد جهد ومحاولات، وأخيرا بدأ يخطبهم، وبدأ يؤثر في أذهانهم شيئا فشيئا، حتى إذا كان من الغد وصل "شردها نند" إلى القرية مع رجاله بالسيوف

والبنادق فتصدى له الشيخ وبكل جرأة إيمانية متحديا، ودعاه إلى المناظرة إظهارا بين الحق والباطل، فلم يقبل، ثم اقترح عليه الشيخ أن تحفر الأرض ويلقى فيها الحطب، وحينما تشتعل فيها النار، فأدخل أنا وأنت فمن أحرقتْه النار فهو باطل، فبهت الذي كفر، ولم يستطع الصمود أمام هذا الشيخ المؤمن القوي الذي أزهق روحه بلا خوف[1]، كما قال الله تعالى في حق أوليائه مادحا: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ - يونس / ٦٢﴾.

هكذا زهق الباطل، وتأثر أهالي القرية بالشيخ، ونجوا من فتنة الكفر والشرك بجهوده المباركة.

ويُذكر في حادثة أخرى مثله أن الآريين كانوا في حفلة دينية لهم، فقصدهم الشيخ - رحمه الله تعالى - ووصل إليهم، وكانت النار تشتعل، وشموع توقد في الدهن الحر (السمن

(١) ينظر: جريدة "دبدبه سكندري" الأردية الصادرة في ١٩ نيسان، ١٩٢٣م، نقلا عن كتاب "تاريخ المشايخ القادرية" للدكتور أنجم، ص: ٤٢٨ - ٤٢٩.

الحيواني) فتقدّم الشيخ إلى المنصة، فقال "شردها نند" لبعض حاشيته في اللغة السنسكريتية: أسألوه ما الذي جاء به هنا؟ وكان الشيخ يفهم اللغة السنسكريتية فقال له مخاطِبا: "لا حاجة لنا إلى المترجم"، ودعاه الشيخ إلى المباهلة قائلا: فلنقف في هذه النار المشتعلة، فمن كان صادقا لا تمسه النار، ومن كان باطلا تحرقة". فخاف "شردها نند"، ولم يستطع التصدّى لهذا التحدي الإيماني النابض بالصدق والإخلاص والإيمان، فاتجة الشيخ إلى الجمهور، وخاطبهم قائلا: "لقد سمعت أذانكم، ورأت عيونكم بأني دعوتُ هذا الرجل في آخر الأمر إلى المباهلة، ولم يقبل حتى يمكنكم أن تشاهدوا الحق من الباطل، واجعل الله ورسوله شاهدين على أنني لم أقصِّر قيد شعرة في إحقاق الحق".

وبعد هذه الخطبة الحكيمة النادرة في أحقية الإسلام وأصدقيته غادر الشيخ المكان، وجاء إلى المسجد، وأمّا الرجل الديني الهندوسي فبدأ بالمراسيم الهندوسية وتعالت أصوات الغناء والموسقي إلا أن الحضور لم يقفوا لحظات حتى فكّروا وقدروا فثاروا وغضبوا على الرجل فأخرجوه وأصحابه من القرية

وجاؤوا بالشيخ من المسجد وأسلموا على يده الشريفة، وسماهم بأسماء إسلامية، وألقى عليهم خطبةً في أحقية الأسلام وأصدقيته[1].

ومثل هذه المشاهد كثيرة، ثبت الشيخ فيها جدارته الدعوية وقوة روحه المثالية، فقد قضى حياته كلها مؤمِناً مثابِراً ومجاهِداً في سبيل الدعوة والإرشاد، حتى أسلمَ على يديه ما يقارب مائة خمسة وثلاثين ألف من الناس، حسبما قال الدكتور غلام يحى جم في إحدى مقالاته[2].

خلاصة القول كان الشيخ - رحمه الله تعالى - شخصيةً مثاليةً نادرةَ الزمان. (أكثرَ الله تعالى أمثالَه، وأغدقَه برحمته ورضوانه، وأدخله فسيح جناته). آمين يا ربَّ العالمين.

---

(١) مولانا حشمت علي اللكنوي للدكتور أنجم، ص: ٥٠- ٥٣.

(٢) ينظر: مقال الدكتور غلام يحى أنجم بعنوان "بين المفتي الأعظم وأسد أهل السنة" المنشور في مجلة "جهان مفتي أعظم"، نشره: رضا أكاديمي، ممبئي، سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص: ١٠٢٧.

الخاتمة

توصّلنا من خلال هذا البحث إلى ما يلي من النتائج:

١ – إن أرض الهند ما زالت تزخر بالعلماء الأفذاذ وحتى إلى يومنا هذا بأمثال الشيخ العلامة الداعية محمد حشمت علي، الذي جاء إلى الدنيا ليخدم الدين، ويترك آثارا قيمة.

٢ – ولد في لكناؤ، وتوفي في "بيلي بهيت" بسُمٍّ دُسَّ به في بعض ماكولاته، ولم يمت بمرض السرطان، كما تقوَّل البعض.

٣ – لم يكن ممن يتعب وتخور قواه، بل كان بطلا مغوارا، وأسدا زئيرا لأهل السنة والجماعة حتى آخر اللحظات من حياته.

٤ – كان ناصرا لأهل السنة والجماعة، عاملا متقيا، وورعا، زاهدا، غير طامع في الدنيا ومغرياته، راجعا إلى الله تعالى ورسوله الأعلى – عليه التحية والثناء – في كل صغير وكبير.

٥ – كان الله تعالى قد أودع فيه قدرات متنوعة، فإنه كان حافظا للقرآن الكريم بأكمله، وكان مجوِّدا، ومدرِّسا، وخطيبا، وشاعرا.

٦ – إلا أن الصفة الغالبة فيه هي مناظراته مع أصحاب الأديان الباطلة، والأفكار الزائغة. فبها يتميز عن غيره من العلماء.

٧ – كانت له نظرة على الوضع السياسي، وعلى ما يدور في العالم.

٨ – كان مؤلِّفا إلا أنّ جميع مؤلفاته يتلوَّن بتلون الردِّ ضد الباطل وما كان يصادم فكره الصافي لأفكار مدسوسة مسمومة في الفكر الإسلامي النير.

٩ – كان داعيا موفَّقاً في عصرٍ شحَّ فيه الدعاة، فقد أسلم على يديه ما يقارب مائة وخمسة وثلاثين ألفا من الناس.

١٠ – قضى الشيخ حياته كلها مومنا غيورا متصلبا على طريقة السلف الصالح، فلم تنتهك أمامه محارم من محارم الله تعالى، إلا غضب لها، وغيره بيده دون خوف ولومة لائم؛ إذ إنَّ قلبه كان يفعم بحب الله تعالى ورسوله – عليه التحية والثناء – إيمانا واحتسابا.

قائمة المصادر والمراجع

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، للدكتور زياد محمود العاني، شركة الرشد للطباعة، بغداد، ٢٠٠١م.

(٢) تاريخ المشايخ القادرية للأستاذ الدكتور غلام يحي أنجم المصباحي، نشره: بزم قاسمي بركاتي، بدايون الشريفة، سنة الطباعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) تحذير الناس، تأليف: المولوي محمد قاسم النانوتوي، مطبوعة مكتبة تهانوي، بديوبند، (الهند).

(٤) تذكرة الرشيد، تأليف: محمد عاشق علي الميرتي، مكتبة إشاعة العلوم بسنهارنفور.

(٥) جهان مفتي أعظم، رتّبَه: العلامة محمد أحمد المصباحي، والعلامة عبد المبين النعماني، ومولانا مقبول أحمد المصباحي، نشره رضا أكاديمي، ممبئي، سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٦) الجهد المقل في تنزيه المعز والمذل، تاليف: محمود الحسن الديوبندي، مطبوعة لاهور.

(٧) حفظ الإيمان، تأليف: أشرف علي التهانوي، مطبوعة مكتبة تهانوي بديوبند، (الهند).

(٨) سوانح شير بيشه أهل سنت، تاليف: الشيخ محبوب علي، مطبوعة ممبئي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٩) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) مطبوعة مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(١٠) صدر الشريعة – حيات وخدمات، (مجموعة أعمال المؤتمر الذي انعقد سنة ١٩٩٧م، حول شخصية صدر الشريعة العلامة أمجد علي من تلامذة الإمام أحمد رضا البريلوي – رحمهما الله تعالى) مطبوعة دائرة المعارف الأمجدية، كهوسي، مئو، اترا براديش (الهند)

سنة النشر: ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، رتبه: مولانا فيضان المصطفى القادري.

(١١) الصراط المستقيم للإسماعيل الدهلوي، النسخة المترجمة بالأردية، مطبوعة ديوبند.

(١٢) لسان العرب لابن منظور، طبعة بيروت.

(١٣) مختصر سوانح صدر الشريعة، تاليف: مولانا آل مصطفى المصباحي، نشره: طيبة العلماء، كهوسي، مئو، (الهند) ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(١٤) المناظرة الرشيدية، مطبوعة رضا أكاديمي، ممبئي.

(١٥) مولانا حشمت علي اللكنوي – دراسة علمية – تاليف: الأستاذ الدكتور غلام يحي أنجم المصباحي، مطبوعة دلهي، سنة الطباعة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(١٦) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، لعبد الحي اللكنوي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، سنة الطباعة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

المحتويات